



المرأة فى الإسلام

الشيخ محمد الغزالي

د. محمد سيد طنطاوى

د. أحمد عمر هاشم

المِـرْآة فِي الْأَسْرَامِ

الشيخ محمد الغزالي
د. محمد سيد طنطاوي
د. أحمد عمر هاشم

إدارة الكتب والمكتبات

أخبار اليوم

الغلاف بريشة : سيد عبدالفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

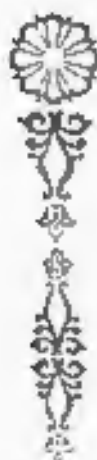
... يا صفية عمة رسول الله .. ويا فاطمة بنت رسول الله :
« اشتريا أنفسكما من الله ، فإن لا أغنى عنكما من الله شيئا » .

كان هذا النداء تلبية واستجابة لنداء عال حمله جبريل من الملأ الأعلى
ليقول للنبي صلى الله عليه وسلم : « وأنذر عشيرتك الأقربين » فبنهض
- عليه السلام - من فوره ويصعد إلى جبل الصفا ليبلغ كلمة الله إلى الناس
فينادى : يا بني عبدالمطلب اشتروا أنفسكم من الله .. يا صفية عمة
رسول الله .. يا فاطمة بنت رسول الله ..

وهذا الكتاب الذى يتحدث عن المرأة فى الإسلام ، والذى يقدمه
الداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد الغزالى والدكتور محمد سيد
طنطاوى مفتى الجمهورية والدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ مادة الحديث
الشرىف فى جامعة الأزهر .. هذا الكتاب يضع أمام القارئ - وفى ضوء
القرآن الكريم والسيرة النبوية والسنة المطهرة - مدى الحفاوة والرعاية
اللتين خص الإسلام بهما المرأة : أم الرجل وبنته .. وزوجته وأخته ..
وقبل ذلك وبعد ذلك نصفه الآخر الذى به يكتمل ويتكامل ليكونا معا
الإنسان .. خليفة الله على الأرض .

مكتبة أخبار اليوم الإسلامية





في ضوء السيرة النبوية

- هكذا كان .. قدرها !!
- في الجاهليات .. القديمة !!
- زوجات الرسول ..
- في العلم .. والأدب
- ماذا تفعل .. نساؤنا ؟

يكتب هذا الفصل

الشيخ محمد الغزالي



﴿ هكذا كان .. قدرها ! ﴾

كلما رجعت إلى السيرة النبوية ازدادت معرفة بما كان للمرأة من مكانة ، وبما كفله الإسلام لها من حقوق ، لقد كانت لها شخصية مقدورة وأثر يحسب ! يقول المحدثون : لما نزل قول الله لنبه « وأنذر عشيرتك الأقرين » صعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصفا ونادى : « يا بني عبدالمطلب اشتروا أنفسكم من الله ، يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله : اشتريا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئا ، سلاني من مالي ما شئتما » . إن نداء المرأة بهذا الصوت الجهر شيء مستنكر في عصرنا الأخير ، كنا نعد اسمها كشخصها عورة لا يجوز أن يعرف ! ونقول : ما للمرأة وهذه الشئون ؟ يكفى أن يحضر رجل من أسرتها ليبلغها ، أما أن تنادى على رؤوس الأشهاد فذلك عيب !

لكن المرأة في صدر الإسلام عرفت قدرها ، ولما سمعت مناديا بدعو إلى الإيمان سارعت إلى تليته .

ويحكى المؤرخون أن أخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام ، لقد آدمى وجهها عندما علم بإسلامها وهاجها بقسوة فقالت له : يا عمر إن الحق في غير دينك ، وإن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ! ثم أسلم عمر بعد !

ودخل الرجال والنساء في دين الله ، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به والذود عنه ، وانتظمت الصفوف في المسجد النبوي تستوعب الرجال والنساء على سواء .

روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : « ما أخذت « ق والقرآن المجيد » إلا من لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة » .

أى أنها حفظت السورة كلها عن ظهر قلب من شدة انتباهها وهي تسمع الخطبة !

وكانت سنة رسول الله في الخطابة أن يتلو القرآن الكريم وحسب ! وهي سنة مهجورة الآن ، كما أن من السنن المهجورة حضور النساء الجمع والجماعات . . .
الأيثر ذلك شيئا من التساؤل والدهشة ؟

ومن الطرائف أن امرأة كريمة موسرة كانت تصنع وليعة بعد الجمعة بحضرها من شاء ، روى البخاري عن سهل بن سعد قال : « كانت منا امرأة تجعل في مزدعة لها « سلقا » فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه ، فتكون أصول السلق عرقه - مرقه - قال سهل : كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها ، فتقرب ذلك الطعام إلينا ، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك ، ولم يكن في الطعام لحم ولا دهن . . . »

هذه امرأة مؤمنة سمحة تدخل السرور على الناس بما آتاها الله من فضله ! ولو فعلت ذلك في عصرنا لأنكر المتزمتون عليها ! ولقال كل جرىء على الفتوى : كيف يلقى عليها السلام ؟ وكيف تردّه ؟ وكيف تلقى الضيوف ؟ إلخ .

إن تقاليد المسلمين في معاملة النساء لا تستند إلى كتاب أو سنة . . . وقد نشأ عن ذلك أن المثقفات في العصر الحديث تجهّمن للتراث الديني كله بحسبه السبب في تجهيل المرأة ، وهضم مكانتها ، وإنكار حقوقها المادية والأدبية التي قررتها الفطرة وأكدها الوعي وبرزت أيام حضارتنا واستخفت مع انتشار القصور وغلبة الأهواء .

هل دليل الإسلام المرأة ؟

قالت إحدى النساء : إن الإسلام هضم المرأة إذ جعل الرجل قادرا على تطليق زوجته متى شاء ، إن هذه القدرة المتاحة له سيف مصلت على عنق المرأة يهددها ويذلها !

قلت : يمكن في المقابل أن يزعم الرجل بأن الإسلام دّلل المرأة وسرّها التمرد إذ أباح لها مخالعة الزوج وترك البيت عندما تشاء !

إن تصوير أحكام الأسرة وحدود الله داخل البيت المسلم لا يسوغ أن يقع في هذا الإطار المتوتر الخاطئ ، ويبدو لي أن تقاليد الشرق ، والأعراف الشائعة فيه من وراء هذا العوج الفكوى ..

فالرجل رب البيت والقيم على الأسرة ، بيد أننا في أغلب الأحيان نظنّ الرئاسة لونا من الفرعونية أو الانفراد بالسلطة فلا تفاهم ولا شورى ! الرئيس لا يعترف برأى آخر ولا يكثر بإرادة أخرى ! وهذا الفهم لمعنى الرئاسة أسقط الشرق سياسيا واجتماعيا ، وأضر بالدول والبيوت على سواء .

إن الرئاسة الصحيحة عبء زائد ، ومسئولية أثقل ، وهي في البيت الإسلامى تنتمى لجملة من الحقوق والواجبات المتبادلة كما جاء في الآية الكريمة : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » .

وأساس التعامل الخلق الزاكى ، والحب السّال ، والإيثار الذى يرجع الفضل على العدل ، والترفع عن ملاحظة الصغائر ! ومن أدب العرب في بناء الأخلاق وتقويم السلوك قول الشاعر :

ولا خير فى حُسن الجسوم ونبلها إذا لم تَزُنْ حسن الجسوم عقولاً
ولم أر كالمعروف ، أما مذاقه فحلوا ، وأما وجهه فجميل !
ذرى فإن الشح ، يأم هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق !
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق !

وقد لاحظت في سورة النساء الصغرى : « الطلاق » أن الإسلام شديد الحرص على مزج التشريع بالتربية الأخلاقية ، والأحكام العملية بالآداب النفسية مثل « سيجعل الله بعد عسر يسرا » ومثل « من يتق الله يجعل له من أمره يسرا » ومثل « من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » والويل للبيوت إذا تركت منطق الدين والخلق واتجهت إلى القانون والقضاء ..

إن المجتمعات في الشرق والغرب اعترفت بأن الطلاق قد يكون ضرورة نفسية واجتماعية ، وأنه ليس سوطاً في يد الرجل بل قد يكون فكاً لئلا يسار

المرأة . وأعرف أسرا إسلامية جعل الدين أفرادها حسدا واحدا في بقر الطلاق
محاطر أحد ! إن تحسكها أمتن وأركى .

ولكن الأمة الإسلامية في أيام اصمحلالها العقل والنفس نسيت وظيفة الأسرة
وتسنة الأولاد وباء المستقل على الحاصر ، وربما علق أحد الناس مستقل بته
على رطل لحم يرفص شراءه ! فيحلف بالطلاق على ذلك !

ماذا يقول إلا ما قد الله في هذه الأحوال وهو يحتم سورة الطلاق « وكأين من
قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ، وعذبناها عذابا نكرا
فداقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا » .

ياسم الإسلام .. المفترى عليه !

خطر لي أن أعرف المستوى الثقافي للمرأة المسلمة في صدر لإسلام ، وقيل
شروق شمس !

إن الثقافة العزيرة تعين الرجل والمرأة كليهما على صسط الحفائق وإحسان
حكم على الأمور والإشراف على تربية الأجيال الناشئة بربيه متمره مجدية .
وقد رأيت الابتعاد عن المصادر المهمة والاتجاه إلى الشعر - وهو ديون
العرب - لأنحس سيرة المرأة وخلقتها وموقفها من القيم السائدة في المجتمع
ومدى رفائها للمضائل الإنسانية على الإحمال !

ووقع في يدي عن عبرتعمد ديوان الحياة لأبي تمام ، وشرعت أقرأ بيب
الرناء ! فوجدت مراثي حارة لساء كثيرات يكن فيها أحياءهن ، ورأيت أن
أحترار منها أولا هذه الأبيات لعمره الختومية بعد أن فقدت ابنيها ، فأخذت في
سرد مناقبها ، قالت :

هما أخوا في الحرب؛ من لا أخاله إذا حاف يوما ثوبة هداهما !!
هما يلسان المتجد أحسن لسة شحيحان ما استطاعا عليه كلام !!
شهران ما أوقدا ثم أحمدا وكان سى للعدلحين ساهما !!
إذا نزل الأرض المخوف - الرذى يحفص من حاشيها مصلهما !!
... الخ .

والمصل : المصل تعني السيف ، والأم الثاقل تفخر بشجاعة ولديها في وجه
الحتوف ، وتتحدث عن المجد الذي حققاه في حياتهما ، وعن مصائل البذل
والإيثار والاستغفار التي توفرت لهما .

وفقدان أم لولديها مع خطب قدح ، لكن العجيب أنها تحيي في ابنيها الشرف
والكرم ، ويغلبها ذاك على حرها .. ترى هل امرأة العربية اليوم على هذا
المستوى في الوعي والسلوك والكماح ؟

ولقد كانت قبل الاستعمار الحديث أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وفرصة عليها
هذه الأمية باسم الإسلام المعتبر عيبه ! فلما احتاحت بلادنا الحضارة المادية
للمعاصرة ، فتحت أبواب المدارس للمرأة ، فلم تتعلم فيها حقائق التراث العلي
ومناقب المرأة في عصرها الأول . كلا لقد عرا عقلها الفكر الأوربي ، وهجه
الشارد ، فإذا نحن أمام تقاليد لا تسر ومناهج لا تنفع بل قد تضر !!

والسبب هو المصور العلمي الذي بلغ مرتبة الجهل أنركب على بعض
الإسلاميين المتحدثين عن موقف الإسلام من المرأة والصائحين بأصوات
مكبرة : المرأة لا ترى أحدا ولا يراها أحد ، تخرج من بيتها إلى الزوج أو إلى
القرى

ما أجل قول حافظ إبراهيم :

الأم مدرسة إذا أَعَذَّتْهَا أعددت شعبا طيب الأعراق !!



❖ في الجاهليات القديمة !! ❖

الجاهليات القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم طلعت المرأة ظلها مبيا حين استقبلت الأثني بتجهّم وحين اجتاحت حقوقها بلا اكتراث ، وقد لحا أفراد شواذ في الأمة العربية إلى وأد الطفلة عندما نولد ! وهو تصرف وحشيّ مستنكر فاحش !

وما يشك في أنه عمل مردّي رفضه أولو الألب وحقرو مقتريه ، أم حمهرة العرب في الخبواب والشمال فقد صوّر موقفهم من الطفولة كذا قول لشاعر .
لولا سُبّات كرُغِب القطا رُدّدت من بعض إلى بعض
لكان لي مصطرب واسع في الأرض ذاب أطول والعرض
وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
ويقول شاعر آخر في ابنته أُمَيمة .

لولا أُمَيمة لم أجزع من العدم ولم أقاس الدجى في حديدس الظلم
ورادى رعبه في العيش معرق ذل السيعة يجفوها دور الرحم
أحادر المقر يوما أن نلّم بها فبهتك السر عن لحم على وصم !

والواقع أن حمهرة العرب كانت شديدة العيرة على سساء تسرحص السماء في اللعاع عنها ، وتمسحها الفرصة لتكون كريمة عطيمة ! كان المسر اللحمي ملك الحبرة أنجب بنتاً اسمها حُرقة وأنا اسمي حُرّيق !

ودارت الأيام وفقد المدر مملكته ، و انتقلت الأسيرة من حال إلى حال ، فقالت حُرقة في ذلك :

هبيا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة سنصف !
صأُ لديا لا يدوم بعيمها ! تغلب تارات بنا وتصرف !
فلما فتح سعد بن أبي وقاص أرض المرس ، أنه حُرقة ست العباد مع عدد من حوارها تطلب منه العون ، فظفر إليهن وسأل : أيتكن حُرقة ؟
قلن : هذه وأشرن إليها !

قال لها : أنت حرفة ؟

قالت نعم هما تكرارك الاستهزام ؟ إن لنديا دار روال ، وإياها لا تقدم عى
حال . يا كما منك هذا لمصر من قنك ، ينجى ، إلبا حراجه ، ويطيعا أهله
رمان دولسا . هما أدبر الأمر وانقصى صاح سا صائح الدهر ، فصنع عصا
وشئت شملا ، وكذلك الدهر ياسعد ! إنه ليس من قوم بسرور وجدة
لا والدهر مُعقُهم حسرة ، وكررت بيتها السابقين
فأكرمها سعد وأحسن جائرتها ، فلما أرادت فراقه قالت له لا أبصرف عنك
حتى أحبك تحة ملوك . لاجعل الله لك إلى لثيم حاجة ، ولارال لكريم
عندك حاجة ! ولا نزع من عبد صالح نعمة إلا جعلك سببا لردّها عليه !
فلما خرجت من عنده تلقاها ساء البلد ، فقل لها : ما صنع بك الأمير ؟
قالت : حاط لى دمتى ، وأكرم وجهى ! إنما يكرم لكريم الكريم
أنظر عقل هذه الأميرة السابقة وأدبها وحكمتها وكيف حاورت سعد بن أب
وقاص انقائد الفاتح المتصر ، فنالت تقديره وإكرامه .
وددت لو أن المثققات العربيات كنّ على هذا المستوى ، فلن إعجاب واحد
من العشرة المبشرين بالجنة .
إن المرأة تعظم بعملها الوسع وبيائها الحكيم وسيرها الماجدة .

الجاهلية العربية . أشرف !!

استكثر البعض أن أقول : إن الجاهلية العربية الأولى كانت أشرف من
جاهليات اليونان والرومان ، لاسيما فى الوصف الاجتماعى للمرأة ! ويبدو أن هذا
الاستكثار يعود إلى سوء ظنا بأنفسنا وحاصرنا وماضيها بعد المراثم الحضارية
المهينة التى لحقت بنا فى العصور الأخيرة وصدق المثل السائر : إن الدنيا إذا
أقبلت عى أحد أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه !
صحيح أن الإشراف بالله كان فاسما مشترك بين هذه الجاهليات كلها ،
« فهل » الإله الكاذب عند العرب هو « أولو » الإله الكاذب عند اليونان !
وليس أحد الفريقين أولى بالتسفيه من الآخر !

أما النظرة إلى المرأة ، والتشرف بصورتها والإستئذان في حيايتها فخلق عرب
لا يكاد الرومان أو اليونان القدامى يعرفون شيئا عنه !! وتدبر قول عمرو بن
كلثوم في معلفته :

على آثارها بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
إذا م نحمهن فلا يقبىا لشيء بعدهن ولا حيننا !!
أين هذا من قول الشاعر اليونانى «سيموندس» الأمور حى «جعل الله عند
الخلق طبائع انساء مختلفة ، فجاءت إحداهن كأنما أخرجها الله من حثير ،
وأخرى كأنما أخرجها الله من ثعلبة مأكرة ، وثالثة كأنها الكلبة حركة وشاطا ،
فهى تجوس أركان المكان فاحصة منطلعة ، فإن لم تجد شيئا أطلقت لسانها
بالسوء !!»

قد تقول هذا شاعر أحق لا يؤخذ من كلامه حكم عام ! ونقول : لنترك
أقوال هذا الشاعر وأمثاله وهم كثير فهذا يقول فى إفلاطون الفيلسوف الأشهر ،
وفى مدينته الماضلة ؟

لقد جعل النساء أحر طبقات المجتمع وتركهن كالأ مباحا على الشيوخ
طبقة الحكام والفرسان !!

فإن تكن هذه معالم المدينة الفاضلة فما تكون معالم المدينة النازلة ؟
أم الرومان فإن مكانة الأنثى لديهم محطة بطبيعتها ، وليست لها الحقوق
المقررة للرجال ، ولما كانت القوانين الأوربية تمت بسبب وثيق إلى الرومان
الأوائل ، فإن القانون الأمجلىزى حتى القرن التاسع عشر كان يبيع للرجل أن
يبيع روحه ! ولم يتدخل القانون إلا فى تقدير السعر الذى يمكن أن تباع به ..

والقانون الفرنسى يجعل تصرفات الزوجة المالية تابعة لمشئته الزوج !

إن الإسلام وحده هو الذى صان شخصية المرأة ورد كل عذران عليها وفق

قاعدته : « لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو نثى بعضكم من بعض »

والذى يحز فى نفسى أن جمهورا من المتدينين الخهلة فى بلادنا تبنى مفاهيم

الخاهليات اليونانية والرومانية وغيرها وقرر أن يحيا فى نطاقها ، وراد إلى هذه

السفاهة أن قرر الدعوة إليها بحسبانها مفاهيم إسلامية !

كيف يحمى الإسلام من أصدقائه الخهلة ؟ فهم أصرى عليه من أعدائه

السافرين !!

في عصور الانحطاط

في دراستي للمجتمع العربي قبل البعثة الشريفة وفي مطلع الدعوة الإسلامية وجدت وضع المرأة أوصح وأرسح من وضعها أيام انحلال الأمة في عصور المهزلة والاضمحلال الأخيرة

ولترك مأساة واد الأنثى في بعض القبائل أو في مسالك أجاهلين الشاذين ، ولننظر إلى الوعي العام للمرأة ، ووضوح شخصيتها ، ومشاركتها في شؤون الحرب والسلم ، وقدرتها على بلوغ الصفوف الأولى في مواجهة الأحداث التاريخية الكبرى ، إنا نرى ما يستحق التسجيل !

لقد شاركت امرأة في بيعه العقبة الكبرى ، وشاركت في بيعه الرصوان تحت الشجرة ! ومن المؤكد أنها كانت ستمنع من مثل هذه المبيعات في تاريخ المسلمين الأخير ، وسيقال لها : إمكثي في بيتك !

وروي أحمد عن أنس بن مالك أن أبا طلحة - قبل أن يسلم - خطب أم سليم وهي مساة - فقالت له المرأة الراشدة . يا أبا طلحة ! ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبد تبت من الأرض ؟

قال : بلى !

قالت . أفلا تسبحي تعدد شجرة ؟ إن أسلمت إلى لا أريد منك صداقاً غير الإسلام !

قال لها : ذهبي حتى أنظر في أمري .

فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالت لابنها أنس - راوي الحديث - يا أنس روح أب طلحة !! فزوجه من أمه ! أي مجتمع هذا ؟ إنني بقدر ما أعجب من ذكاء المرأة وإخلاصها لدينها أعجب لسلامة الفطرة وانتفاء الريبة وسهولة انحلال وسرعة إقراره .

وروت أم عطية أنه حين قدم رسول الله المدينة جمع نساء لأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم عليهن ! فرددن السلام ، فقال : أنا رسول رسول الله إليكن .

فقبل . مرحباً برسول الله ، ورسول رسول الله !

فقال عمر : نايح عن أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ، ولا تزني ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين بهتان تفترينه بين أيديكن وأرحلكن ولا تعصين في معروف ؟

قلن : نعم !

فعد عمر يده من خارج الباب ومدد أيديهن من داخل ، ثم قال . اللهم اشهد !

ولم يجعل عمر البيعة مصافحة باليد ، وهذه هي السمة ، نزحها جحر الدين من الشبهات التي عرفت في أديان أخرى .

وللكهن في هذا المجال دساتير محطورة ، من الخير تحصيل الإسلام منها ، فلا نريد أن يكون بيننا أشباه راسبوتين

وأنا إذ أسوق الخبر الأخير أذكر أن أحد العلماء المسئولين عنت على أن حين أدخل للتدريس بين الطالبات ألقى عليهن السلام !

قلت . وما الحرج في أن يسلم أستاذ على تلميذاته ؟

قال : هذا لا يجوز !

قلت له . إن البخاري روى جواز هذا ووقوعه !

فقال : لكن العلماء لم يأنخلوا بروايته .

قلت : أي علماء : إن الجهال هم الذين يقولون في الإسلام بغير علم .

ويرجعون تقاليد آبائهم على تعاليم الإسلام .

لنعرف الموقف الصحيح

في عصور متعاقلة كان مصيب المرأة قليلا من الرحمة العامة العامرة التي بعث بها صاحب الرسالة الخاتمة ! حاشا عصر البعثة الشريفة والخلافة الراشدة فإن المرأة شهدت أياما ذهية .

وتأمل موقف النبي الكريم من جميلة بنت أوس عندما جاءتته تشكو بقاءها في بيت الزوجية لا شيء إلا لأها تكره هذا الزوج وتعاف عشرته !

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لها لقد أعطاك زوجك حديقته مهراً ، فهل تردين عليه حديقته ؟

قلت : نعم !

فأمر الرجل فطلقها !

إن الأسرة لا تقوم على امرأة تعص الرجل وتشتهى معارفته ومن هنا قال تعالى : « فإن عصم ألا يميها حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به » . وهل هذا الخلع طلاق أم فسخ للعقد ؟

بحث لا نتعرض له هنا وإنما نتعرض لموج فقهي أو قانون عاصرته في مصر ، فقد كان القضاء الشرعي يحكم بأن يقود رجال الشرطة المرأة الكارمة بالقوة إلى بيت الطاعة لتحتصن من تبغض !!

وكان رد الفعل لهذا المسلك أن وُضع باسم الشريعة قانون أحر يجرح الرجل من البيت إذا أوقع الطلاق !

لم هذا الاضطراب في فهم الدين وتطبيقه ؟ وأين قوله تعالى : « فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان » ؟

إن للمسلمين غرائب في فهم شريعة الخلع وشريعة الطلاق لا تقوم على فقه واع واسع الأفق !!

وأمر آخر نذكره أسفين ! ذهبت سوسة إلى أحد المساجد للصلاة ، وأخذت في مؤجرة الصفوف مكانا قصيا ، فجاءها إمام المسجد غاضبا يقول : إن المساجد بنيت للرجال وحدهم قال تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال » .

وقابلني هؤلاء النسوة كسيرات كاسفات البال فقلت لمن : هذا رجل جاهل فإن الله يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فهل الصدق في العهد والوفاء بالوعد والثبات على الدين إلى آخر رمق وقف عن الرجال وحدهم ؟ فأين قوله تعالى : « فاستجاب لهم ربهم أن لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » ؟

ولكن مطلق الجهل نصب سرادقه على جماهير غميرة من الناس ورأوا أن ذهاب المرأة إلى المسجد بدعة منكرة ، وأن تلقينها أنواع الثقافات تقليد أجبي ، وأن وعيها بالشئون العامة تطفل مرفوض !

وامرأة مغلفة على هذا النحو كيف تكون راعية بيت ؟ ورثة أسرة ؟ ومشنة
أجيال محترمة ؟ إن تقهقر الأمة للإسلامية في الأعصار الأخيرة يعود إلى العجز
الشائن في فهم موقف الإسلام الصحيح من المرأة .
وهذا العجز من وراء انتصار المدنية الحديثة وانتشار عُجْرها ونبجها في أفاق
عريضة ، والعلاج يقدمه فقهاء أدكياء مصفون ، لا امتعيقون متعالمون .



❖ زوجات الرسول ❖

إنطلقت هذه الشائعة بين الأوربيين حتى كادت تكون بينهم يقينا ! قالوا .
كان لمحمد تسع نسوة يتقلب في أحضانهم ويشع شبابه النهم ، لا يسأم من
واحدة حتى يتجلد هراه مع أخرى !

وقالوا : إن سماع ذلك لوحد من الناس فما يسوع من داع إلى لروحانية يصل
الناس بالسماء ، ويحدثهم عن الله والدار الآخرة !

إن هذا العشق المشوب للمراه له دلالة واسعة ، فالرجل رجل دينا وليس
رجل دين ، وما يصدق مراعمكم معشر المسلمين عن تجرده وبقواه !

قلت : إذا كان ما فلتمره صحيحا فما استتجتموه حق ! لكن هذا الذي
ذكرتم لكون من تحريف الكلام عن مواضعه يجعله أدنى إلى الكذب

إن تاريخ محمد من ألسنة العدو والصديق يشهد بغير ما ذكرتم ، فقد تروح في
الخامسة والعشرين من عمره بامرأة في الأربعين من عمرها ، وطل معها وحدها
قريبا من ثمان وعشرين سنة حتى ماتت فأبى هذه المتع التي تصفون ؟

عندما كان في الأربعين من عمره كانت شبيحة في الخامسة والخمسين ، وعندما
كان في الثالثة والخمسين كانت تقترب من السبعين . فأبى الحسناوات اللاتي
يشغل بين صدورهن كما تزعمون ؟ وهو كما يقرر العدو قبل الصديق لا يعرف
إلا الوفاء للسيدة العجوز التي قضى معها شبابه كله . .

ثم ماتت زوجته خديجة في عام أطلق عليه عام الحزن فاستقدم إلى داره
امرأة تقاربها في السن هي التي هاجرت معه إلى المدينة

وصحيح أنه في السنوات ابشر الأخيرة من حياته احتمعت لديه نسوة
آخريات !

من هن ؟ مجموعة من الأرامل المكسرات أحاطت بهن ظروف صعبة ، لم
يشتهرن بالجمال ولا كان هن من السن امكورة ما يجتد الحياة ، اللهم إلا بكرا
واحدة ست صديقه أبي بكر تزوجها توثيقا لملاقاتها ونروح بعدها حفصة بنت
صديقه عمر ، ولم نعرف بجمال ، بل بدا أن الشاء بها بعد موت زوجها كان جرد
حاطب ودعم مودة وجهاد !

وتزوح أم حسيه المهاجرة إلى الحبشة ، إنه لم يرها هناك بيد أنه يعرف إسلامها برعم أنف أبيها زعيم اشركين يوم إذ ، وبقاءها على الإسلام برعم أنف زوجها الضائع ، فهل يتركها في وحشتها وعزلتها ؟ لقد أرسل يحطها ويعزّز جانبها . وكلما أحاطت ظروف سيئة بامرأة ذات مكانة ، صمّمها إليه ، وما كان للشهوة موضع يلحظ ، وأدركت السوء القادمات هذه الحقيقة ، وعرفن أن هذا الوضع فوق طاقة الإنسان العادي ، فعرض بعضهن في صراحة أن يبقى منتسا للبيت السبوي مكتفيا بهذا الشرف ، ومشارلا عن حط المرأة من الرجل ، فإن الرسول «واهن مستحيبا لنداء إسماني لا لواعث الغريزة ! أين مكان الغريزة والحالة على ما شرحنا ؟

ول استقاء أولئك الروحات على ما ارضين بولت آيات كريمة . منها قوله تعالى « وإن امرأة خافت من بعلها مبوزا أو إعراسا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير » ومنها قوله : « ترجى من تشاء منهم وتزوى إليك من تشاء » ومن ابتغيت ممن عرلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ريرضين بما أتيتن كلهن »

إنه لا يستطيع إلا ذلك ، فإن دواعي الشهوة كانت ميتة وراء هذا التعدد الذي فرضته أزمات أحاطت بعض المؤمنات العريقات .

ولنفرض جدلا أن الإعجاب بالجمال هو الذي أوحى بتزوح بعضهن ، أفكانت أيام الحصار المصروب على الدعوة ، والأزمات الخائقة التي يتعرض لها المسلمون عامة ، وأهل البيت سوى خاصة ، تيسر للمؤمنين وتبهم طعم الراحة ؟

ما أشقى ربات البيت عندما يكون رب البيت أبا لأمة كبيرة وملاذا للمستضعفين واللاحثين وباشدى العون في الصباح والمساء ، إنه يؤثر غير بما لديه وبيت هو واللاق معه على الطوى . .

هذا .. أو الفراق !!

روى البخارى ومسلم عن عائشة قلت : ما شاع آل محمد من حبر اشعر يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند مسلم قالت عائشة . لقد مات رسول الله وما شبع من حبر وزيت في يوم واحد مرتين .

وعند الترمذي ، قال مسروق . دخلت على عائشة فدعت لي بطعام وقالت ما شبع ، فأشياء أن أبكي إلا بكيت ! قلت . لم ؟ قالت أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله الدنيا ! والله ما شبع من حبر ولحم مرتين في يوم ! وعند السيوطي قالت ما شبع رسول الله ثلاثة أيام موالية ، ولو شأ لشبعنا ، ولكنه كان يؤثر على نفسه !

وعند الطبري ما كان يبقى على مائدة رسول الله شيء من حبر الشعير قليل ولا كثير ! قال الحسن . « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يواسي الناس بنفسه ، حتى جعل يرقع إزاره بالأدم »

ما أكثر العفة الطارقين ، يتمسكون المطعم والمسن !!

وكان الناس ربما اقتحموا البيت البري قبل إعداد الطعام بوقت طويل ، أو جلسوا بعد الفراغ منه وقتاً طويلاً . ولا ريب أن ذلك كان يشق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويجد منه الحرج فسم يكر بد من تنزل الوحي الإلهي يصعب نظاماً صامداً لهذا التسبب قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير مطيرين إليه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانسرو ولا مستأجرين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق . . . »

إن روجات النبي - صلى الله عليه وسلم - تعين معه طويلاً في خدمة المجتمع وتعليم الناس ومعاونة الضعفاء ومستقبل الوفود

وكان مأموها أن يصححوا النبي للصلاة ، ويصلي بالناس في المسجد ثم يعود إلى بيته ليسأ عن شيء يطر به فلا يجده فينوي الصيام . . وربما وجد بعض الخل فلا يصح ولا يشقى بل يقل عليه راصياً قائلاً . نعم الأدم الخن !!

هد هج الحياة التي يرعم الأوربيون أنها كانت تبدأ بالنساء واسمها ناديا أحصاهن أين هذه الدنيا الباعمة ؟؟

وق كتاب السيرة جميعاً كيف صاقت الروجات هذا الشظف ، وكيف احتتم المطلة تعبيره ، وكيف تطلعن إلى حياة أهدأ وأهنأ فلما بوغتن بنرد : هذا أو العراق ! ثبت إلى موسهن مشاعر الإيدين وآثرن إنظار

الأحره ، ولعيش في ظل السوء المكافحة على استعجال الطيبات في هذه الدنيا .

كان مفروضا على بيت الوحي أن يعيش كأضعف بيت في الدنيا ، وأن يتحمل لقيحات به كل ما يتحمده المهاجرون لئلا يحرقوا من ديارهم وأموالهم ، وعاشوا من بعد على ما تيسر . . .

وكأفأمر الله سبحانه على هذا السبل ، أن صرنا أمهات للمؤمنين ، وهو لقب - كما رأيت - فيه من الكيف مثل ما فيه من الشريف . . .
أكانت هناك ديانة أرضية أو سماوية تهى عن تعدد الزوجات ؟ أو ترى فيه أدنى شائنة ؟

لا ، بل إن أنبياء العهد القديم ألغوا التعدد دون حدود ! والمذكور عن سليمان وحده أنه تزوج بثلاثمائة امرأة .
وقد حكى « ويل ديورانت » في قصة الحصار عن آثام الأقباط والرهبان ما يثير الإشمئزاز !

فلترك الدين إلى الفلسفة ! ولسطر إلى فلاسفة الإغريق لرى كيف يعيش قادة الفكر القديم !

وقد كنت راغب عن ذكر هذه الدنيا ، ولكي رأيت الطاعين في محمد يجمعون بين قلة الحياء وكثرة الافتراء فقلت : مابد من حمل العصا . . .

كتب ماحد نصر الدين في صحيفة « الدواء » الأردنية مقالا عنوانه « لماذا ينهل المثقفون من تراث موبوء بالشذوذ ؟ » نفتطف من هذه الحملة « إن الفلاسفة الذين يعتبرهم البعض مثله الأعلى هم لواطيون ، شاذون حسيا ، يفخرون بشذوذهم ، ويتباهون بمضاجعة الغلمان ! ! وقد كرهت امرأة سقراط رجلها وعانت عشرته لتعلقه بأحد تلاميذه ، وقس على ذلك افلاطون الذي تعرف على سقراط وهو صغير ، وسقراط مشهور بهذا الداء ومتهم بإفساد الشباب .
ويزعم أرسطو أن نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعيين وقد حرت على لسانه عبارات لا نجرؤ على نقلها هنا .

وتقول مؤلفة « الجنس في التاريخ » : « إن معظم المجتمعات حرمت اللواط ، أو نجاهته إلا اليونان ، فإن العاء المذكور كان شائعا ، ويمكن استئجار العلان ا » .

والحضارة الغربية الحديثة ورثت عن اليونان والرومان مادل وضيعة محرية ،
ومع ذلك فهي تتعافل بخث عن عللها ، وتتسامى الدس الذي تصح فيه
وتسمى ، وتسقط لسانها بالأذى في سيرة أمير الأنبياء ، ومعلم الأمم الطهر
والعفاف !!

وهل تنتظر من بيته « الإيدر » إلا هذا التلى ؟

تشريع خاص .. لهن !!

قال لي متعجبا : كيف تم رواج عائشة ، وهي في الصبا الكبر عن راد عمره
على الخمسين ؟

قلت له : سؤر وارد لا غرابة فيه ! ولكن دهشتك سوف تروى يقينا عندما
نعلم أن عائشة قد تقدم لها قتل محمد أحد الخطيبين !
قال - وقد فغر فاه وحمق عينيه - كيف كان ذلك ؟

كنت . ذكر بعض المؤرخين أن جبريس المطعم بن عدى تقدم لخطبة عائشة ،
يحدث بذلك أبويه فقلا بديء ذى بدء ، ودها إلى أبي بكر راغبين في إتمام
الزواج . غير أنها حشيا بعد قليل أن يترك أسها دين امانه ، ويعتق الإسلام
متأثرا بأصهره ، فترشا في الأمر ، وبدأ لها أن يرجئاه .

وهما جاءت حوله بنت حكيم إلى أبي بكر تذكر أن النبي - صلى الله عليه
وسلم - بنحه إلى طيب عائشة ، ذهب أبو بكر إلى المطعم يسأله أهوناق عن
رعه في حظها لانه ؟ فاعدر إليه ، وبرك له حرية التصرف

وعندئذ لم يسو هالك وعد ولا عهد ، وتم رواج محمد من بنت أبي بكر !
إن هاء بنت سفيان في سن مبكرة ، وقد أخبرني أحد الأطباء أن القصه
عرض عليه فتاة لعرفه عمره ، فقدرها من سبعة عشر عام ، ثم تبين من
شهدة الميلاد أنها في الثالثة عشرة .

إن عائشة يومى بها لرسول كانت أهلا للزواج يقيا ، وما نشك في أن
الدافع الأول لهذا الزواج كان توثيق العلائق بين النبي الكريم وصاحبه الأول ،
وهو الدافع لتزوجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب لما آمت من زوجها ! ولم

تكرر حفصة امرأة ذات جمال ، ولكن هذا العصر لم يكن المانع من هذه ،
ولا الدافع إلى تلك !

لقد كانت هناك أسباب اجتماعية وسياسية أوجت متعزير الروابط حينا ، وحر
الكسور حينا ، ومدد الحسور بين صاحب الدعوة وأشتات من الأتباع والأسر التي
ترحم حريرة العرب في أيام مليئة بالأزمات والمحرجات .

ربما قال قائل - أما بأن تعدد الزوجات كان مألوفا في الديانات الأرضية
والسموية حتى جاء الإسلام فوضع عليه اقيود ، فلماذا لم يلتزم نبي الإسلام
بالعدد الذي وقف بالمسلمين عنده ؟ ألم يجيء في الأحاديث الصحاح أنه أمر رجلا
لديه عشر زوجات أن يمسك أربعة ويسرح البقيات ؟

قلت : سؤال صحيح ! فلتدبر الإجابة عليه ! أن النسوة لست التي طلقهن
صاحب العشرة سيتركهن بيته ويجدن بيوتا أخرى ، فلهن حق الزواج من أحسن ،
ولا حرج على أحد في التزوج منهن !

لكن ماذا عسى يفعل زوجات الرسول إذ كان الوحي قد برل من قبل يقول
للمسلمين : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من
بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما » .

لقد صرن أمهات للمؤمنين وفي النص القائل « السُّ أُولَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » ، وما كان لمؤمن أن يتزوج أمه ! فهل يسوع بعد هذا
تسريحهن ليعلن في وحدة وإيثار ؟

ولفرض زورا أن تسريحهن مطلوب فهل هذا هو الخراء لإلهي لنسوة تُحمَلْنَ
مع صاحب لرسالة شطط العيش ومشقات الحصار انصروب عن أمته ؟
لقد احترن البقاء معه عندما حيرهن ، وأبى العودة إلى أهلتهن في بيوت مُلَأَ
بالسمن والعسل ، وحملهن لإيمان على البقاء في جو استهجد والصيام والكفاح مع
السُّ الذي انتصب لمقاومة الصلال في العالمين ، فهل يكون الخراء بعد هذا
الوفاء الخالص منهن ؟

إن الله أدن سقائهن ، والاقتصر عليهن ، وصدرهن تشريع خاص لا يحمل
لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ،
إلا ما مَلَكَت يَمِينُكَ وكان الله على كل شيء رقيب .

حلف الأطلسى .. يحميهم !!

وإن أسائل المهاجرين على محمد من خلال هذه الشعرة المزعومة في حبره أهي محاكمة خاصة لهذا الإحسان الشريف ؟ ومحاولة متعمدة لليليل منه حده ؟ أعرف أن مساات كثره وجهت لأبياء من قبله ، وتعرض الرحالة ، لـاخون لأقبح التهم !

ألم يتهم النبي الطاهر بوط بأنه زن بابنتيه كلتيه بعد ما أفقدته حمر وعيه وأنجب منها ؟

ألم يتهم النبي يعقوب بأنه سرق مصعب النوة من أخيه الأكبر عيصو بعد عمية احتيال مأكرة على أبيه الذي كف بصره ؟

ألم يتهم سليمان بأنه انطلق في شوارع القدس يبحث عن الحبيب المحلول ليأخذه إلى فراشه ، مع أن عنده ألف امرأة ؟

إن هــ البحث الماحر استغرق عدة صفحات مليئة بجمل طائشة تحت عنوان الإشاد الذي لسليمان ! من شاء قرأه في العهد القديم

ومع حنون الاتهام الذي سيطر على كاتبى هذه الصحف ، فإن المتهمين بقوا أنبياء مكرمين !

أما سليمان فقد جعله ليهود ملكا ، ولكن أى ملك ؟ إنه بان اميكل اندى يجب أن يعاد ساؤه ليكون مسكنا للرب يتحنى فيه مهاؤه وبحكم العالم كنه من سُدته بوساطة شعبه المختار من بني إسرائيل !!

أما محمد الصوام القوام الكادح لله طوال حياته ، ولذى جمع آخر عمره بصع سوة من الأرامل والمصابات عشن معه على مستويات الصروره ، ونمخص لله وانذار الآخرة فهو وحده الذى ستتاح وتوارث الصعائن عليه ، ويتجمع حلف الأطلسى لحماية شاميته !!

ومن أولث الشاقرون العاصون ؟ أهم رهدن وقتهم العادة وكتر حت لساء في دعائهم فهم يشتهون ويميتون شهواتهم انتعاء رصوان الله كي يرعمون ؟ كلا ، بهم أفراد وشعوب شربوا كئوس الشهوات حتى الشبانه ، ولم يتركوا بابا لمدة إلا اعتجوه دون تهي و حياة !

وحضارة أوروبا تميزت بأنها يسرت للدهم من امتع ما كان حكر على الملوك والرؤساء فأصبح الصعلوك قادرا على الاتصال بسعين امرأة كلما داق حديدا طلب مزيدا مما تحجره عن دنياه تغاليد ولا قوانين ، وفي هذا الوسط من الدس يذمون محمدا ويالون منه !

أى منطق هذا المطلق الجائر الظلوم ؟

إن الإسلام لم يأمر بتعدد الزوجات ، فإن الزواج ليس نشدانا للذة فقط وإنما هو قدرة على التربية ورعاية الأسرة ، فمن عجز عن ذلك كلفه الإسلام بالصوم ، ومن بوجه للأوربيين سؤالا لا مهرب منه : هل التعدد الذى أدن الإسلام به أفصل أم الزنى ؟

إننى أسائل كل منصف صادق . هل المجتمعات الأوروبية تكفى بالواحدة أم أن التعدد قانون غير مكتوب يخضع له الكثيرون ؟

وثم سؤال آخر هل الضرورات هى التى تدفع إلى التعدد المحرام أم أن الإثارات المتعمدة فى الاختلاط المطلق وفى تغاليد الرقص التى لا آخر لها من وراء هذا انقيصان من العلاقات الأثمة ؟؟

وأختم هذا القول بسؤال حاسم . هل وعى التاريخ الحاد سيرة رجل أعف حلقا وأشرف ثوبا وأعير على الحرمات وأبعد عن الشهوات من محمد ؟ هل حكى عن أحوال فى بيته رُصت فيها لموائد وعليها رجالات الخمر ، وأطياب الأطعمة ، وأنواع المشهيات والخواصيم ؟

لقد كانت عيذان الحصار تنطع على جلده وهو نائم . أو جالس ، فإذا ظهر مع أصحابه بالخبز واللحم عت ذلك من النعيم الذى يسأل الناس عنه يوم القيامة !!

فهل هذا السبى الفارس المحشوشن الجند يوصف بأنه من أصحاب الشهوات ؟

ومن الذى يصفه ؟ اندين اتلاههم الله « بالإنديز » بعد ما ابتلاههم بالرهوى وغيره من أمراض الأسفاف والإسراف والسقوط !!

إمراةان .. فادرتان !!

كانت أم المؤمنين « حديجة » سيدة ثاقبة البصيرة ، حيرة بأعوار الرجال ،

تعرف طيائعهم فلا تخفى عليها معدن نفيس . ولا يجدها طلاء مزور ! ولعل
اشتغالها بالتحارة كَوْن لديها هذه الملكة . فالتحار من أعرف الناس بطوايا
الفوس !

وفي ميدان عملها التحارى عرفت خديجة محمدا - عليه الصلاة والسلام -
وخطبته لنفسها ، ولم يكن محمد مجهولا لدى جمهور العرب ، كانت حلالته
الركية موضع إجماع وحب ، وكثيرا ما تكون زكاة الباطن كصباحة لوجه أساسا
لتقدير عام أو عنوانا لا يختلف فيه اثنان .

لكن خديجة بعد رواجها اردادت حرة برجلها وأدركت أى أفق من الكمال قد
بلغه ! فلما أحبرها بـ عرص له فى غر حراء قاست المستقبل على الماضى ،
وأقسمت أن مثله لا يصيب ، وأنه يستحيل أن يجدل الله رجلا قد أفاء عليه حلال
السل ولشرف كلها . قالت . « والله لا يخرجك الله أسدا ، إنك لتصدق الحديث
وتصل الرحم وتحمل لكل ونكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق وتؤدى الأمانة » .

إن الله لا يجرى فى الدنيا ولا فى الآخرة صاحب هذه السيرة ! ذاك إنسان
مُخَصَّر من عدوان الشيطان « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى برك
وكيلا »

وخديجة من سراوات قرش ، أى من قمة المجتمع العربى ، وهى أول من
آمن من نساء ، لكن الإسلام دبر عام ينتظم الشر أكاثرهم وأصاغرهم ، فإد
كانت أئمة بعض الأعياء تهوى إليه ، فإن حمير من الفقراء تدخل فيه وتستشر
به ، السادة ولعيد جميعا لهم مكان واحد فيه ، أبوبكر المرموق يعنقه ، وبلال
المملوك يعنقه ، ثم يحىء عمر العظيم فيقول أبوبكر سيدنا وأعق سيدنا !!
لا طبقات فى هذا الدين ، ولكن أحوة عامة ، وإذا كانت خديجة أول من
آمن ، وهى من البيوتات الرفيعة ، فإن أول من استشهد « سَعِيَّة » أم عمار وهى
من البيوتات المستصعبة التى لا يؤبه لها

واخبار الله لعباده هون ، إنه يختار بالشهرة والحمول وياثروة والعدم
وبالصحة والسقام ، والمهم هو الأجرة ، عن عثمان بن عفان - وهو من قمة
قرش - قال بيبى أنا أمشى مع رسول الله بالطحاء إد عمار وأبيه وأمه يعذبون فى
الشمس ليرتدوا عن الإسلام ! قال أبو عمار يا رسول الله ، لدهر هكذا ؟

فقال « صبراً يا آل ياسر ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت ! » .
 وجاء فادة الجاهلية لئسروا عطر التعذيب ، وكان بينهم أبو جهل الذي غطه
 تجدد المرأة ، وصبرها على ما يرسل لها ، فطعن بها بحرته في أسفل بطنها طعنة
 مرقّت رحمتها وأودت بحياتها فكانت أول شهيدة في الإسلام .
 وطب المسى على توقع العقاب الإلهي حتى كانت عروة بدر ، وحرّح الفرعون
 الصغير ليقابل المؤمنين وهناك ركل القدر به اثنين من فتيان الإسلام ظلياً وواشياً
 سيميهما حتى صرع ! « يا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى
 فرعون رسولا ، فعصى فرعون لرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً » .
 كم أشعر بالإعجاب لأول امرأة أسلمت ، ولأول امرأة استشهدت !

الصديقة .. الأدبية

كانت أم المؤمنين عائشة دواءه للأدب العربي ، شعره ونثره ، سريعة
 الاستشهاد به فيما يمر بها من أحداث ، ولم أن هذه القدرة لغيرها من النساء .
 فعندما قتل علي بن أبي طالب قالت .
 فألق عَصَاهَا واستقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالأياب اسافر !
 ولما احتضر أبوها أبو بكر قالت .
 لعنك ما يغني الثراء عن الفقى إذا حُشِرَتْ يوماً وصاق بها الصدر
 فقال الصديق لافتاً بظفرها إلى ما هو أفضل ، ليس هكذا تقولين ! قولي
 « وجاءت مسكرة الموت بالحرق ، ذلك ما كنت منه تحب »
 وعندما قتل أخوها محمد بن أبي بكر بمصر قالت
 وكما كذمان جزيمة حبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا !
 فلما تفرقتا كأي ومالك ! لصول اجتماع لم ست ليلة معا !
 قال الرواة . وأرسلت عائشة أباها عبدالرحمن إلى مصر فأحضر أولاد أخيها
 البتامي ، واحتضنتهم حتى إذا كبروا قالت لعبدالرحمن : لقد صممتهم إلى
 لصغر سنهم وحشيت أن تتألف ساؤك منهم ، فكنت أنا ألطف بهم ، وأصبر
 عليهم ، فالآن خذهم إليك وكن لهم كما كان حجة بن المضرّب لأولاد أخيه
 ممدان !

والحجية هذا قصة طريفة بعد أن مات أخوه معدان ! فقد رأى أولاده اليتامى
تخرج إليهم حادثته بقايا لس في قعب مكسور ، هو كل ما حادث به زوجته
عبيهم ! فمدك الوجرم واعصب ! ثم أمر أن تحلب ماشيته في بيت أخيه قبل أن
تحلب بيه ! وأن يأكل بتمه من الأصول لا من المصون ، وعصت لذلك
إمراته فعاد حجيه

تلوم على مال شمس مكبه إليك فومى ما بدا لك واعصب
رأيت اليتامى لا تسد ففودهم هدي لهم في كل قعب مشعب
ذكرت بهم عظم من لواتينه حرسا لأسارى لدى كل مركب
أحى والذي إن أدعه للمنة يجنى وإن أعصب إلى السيف يعصب

إن الصديقة الأدبية تذكر أحوال رحل من شعراء الجاهلية ! قال
عروة بن الربير : ما رأيت أعلم بظ ولا بفق ولا شعر من عائشة

وفي طبقات ابن سعد كانت عائشة أعلم الناس ، يسأها الأكابر من أصحاب
رسول الله .

وعن أبي سلمة . ما رأيت أعلم بس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من
عائشة ، ولا أحداً أحقه في رأى إن احتج إلى رايه ، ولا أعلم بآية فيها نزلت
ولا فريضة ، من عائشة رضي الله عنها .

وكانت - رضي الله عنها - تفق في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت
وعن عائشة يتجاوز الفتوى إلى التصحيح ، ورد ما يشيع من خطأ ، وكان
رسوخها في فهم القرآن ، وفقها في السة السوية ، واطلاعها الواسع على أدب
العرب يجعلها المرجع الثقة أبدا .

ألا تكون هذه السيرة الناضرة أسوة للنساء المسلمات في شتى الأعصار
والأمصار ؟ أم نقول للنساء : اقعدن في البيوت لا شعر ولا نثر ، ولادين
ولا دنيا ؟!

❖ في العلم .. والأدب ❖

مع اصمحلال الفكر الديني في الأعصار المتأخرة سطت المستوى الإنساني للمرأة
هبوطاً مخجلاً في ميدان العلم والأدب ، وعادت لجاهلية الأولى تنشر مآثرها
وبزعتها !

بل إننا نقرأ كلمات للنساء الأول يستحيل أن تكون لها نظائر على لسان النساء
في أعصار التحلف الأخيرة ، تذكر ما نقوله « أم الصريح الكندية » ترى رجالاً
من قومها ثبتوا في الميدان حق تفانوا جميعاً :

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم ! وأن يرتقوا من حشية الموت سُلماً
ولوأنهم فروا لكانوا أعزّة ! ولكن رأوا صبرا على الموت أكرماً !

والإعذار عن فرارهم - لو فروا - إنما وقع لأهم نفر قليل واجه جيشاً كثيفاً ،
وكان يمكن أن يقولوا ما قاله الحارث بن هشام لما ترك المعركة لأنه النقي - وهو
مرد - بجيش كبير واعتذر قائلاً :

وعلمت أن إن أقاتل واحداً أقتل ولا يصرد عدوى مشهدي
فصددت عنهم والأحبة دونهم طمعا لهم بعقاب يوم مُرصد !

لكن هذه الفلسفة السياسية لم تعجب المرأة الشجاعة ، ورأت أن الصبر على
الموت أكرم !! ومش هذه المرأة بلد أولى القداء والجلدة والرجال الذين يحمود
الإيمان بأرواحهم دون تردد ،

وهذه امرأة أخرى ، هي أم صعلوك من صعاليك العرب ذهب ابنها في
إحدى المعارك وبقيت هي تنتظره فلم يعد ، ولو كانت هذه الأعرابية أمّاً لأحد
« اللوردات » الإنجليز لترحت كلماتها عن أنها من روائع الأدب !

إن ابنها ذهب كغيره من الصعاليك يطلب الغنى ويكره الفقر ، والمرأة تسمى
لفقر هلاكاً (!) وهو كذلك في دين الله ومطربة النصوص ولكن الفقر - في الدين
العاسد - منزلة من منازل الصالحين حين يتقربون إلى الله !

وهذه قصيدة المرأة :

طاب يسبغى بحوة	من هلاك فهلك
ليت شمري ضلة	أى شيء نلتك
أمريض لم تعد ؟	أم عدو حلتك ؟
والمنايا	للفى حيث سلك !
أى شيء حسر	للفى لم يك لك
كل شيء قائل	حين تلفى أحلك !
طالما قد سلك فى	عبر كد أمك !
إن أمراً فادحاً	عس جوابى شغلك
ساعزى النفس إذ	لم تحب من سالك !
ليت قلبى ساعة	صبرة عنك ملك !
ليت نفسى قُدمت	للمنايا بذلك ..

وقالت صفة الباهلية نثرى أخاها ، وتذكر أنها كانت معه فرسى رهان فى ساق الأجداد والمكرمات حتى ذهب وبقيت وحدها

كما كعصين فى جرثومة سنف حياً بأحسن ما يسمو له الشجر
حتى إذا قبل قد طالت مروعهما وطاب فيأهما وأستطر الثمر !
أحى على واحد ريب الرمان وما يبقى الرمان على شيء ولا ينرا
كما كأنهم ليل بينها قمر . يجلو الدجى ، فهوى من بينها القمر !

هكذا كان الرجل وامرأة ، عهل مما كذلك الآن ؟

مثل عال للمسلمة المجاهدة

كانت الأسرة الإسلامية كلها تهتم بشئون دينها وبقصاياها السياسية والعسكرية ! ولم يكن هذا الاهتمام التفاضل أحرار أو تسع أساء المعارك فى شتى الميادين ، بل قد يكون مشاركة شخصية من الأمهات والزوجات ..

وأمامي نموذج مثير لقصة وقعت في حرب الردّة عندما اشتبك المسلمون في قتال عاصم مع أناس مسيحية الكذاب !

ومسيحة هذا شخص عجيب فإن جنون العظمة قد يدمع أصحابه إلى ما يشاكل طباعهم من انحراف ، « فيرون » قد يحرق روما و« هولاكوز » قد يدمر بغداد ، وقد يستطيع مسيحة أن يكون قاطع طريق فيشبع تطلّعه بن الظهور ! أما أن يدعى النوة فهذا مالا مبالغ له

لكن ساعد العظمة جعده يدعيها ويرسل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قسم الأرض نصفين بينهما ! وقد تجاوز النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الطول ، وأرسل حبيب بن زيد يتحدث معه ويستطلع خبره ويحاول رده إلى صوابه .

وكان حبيب شاباً مؤمناً جريئاً ، فلما رآه مسيحة قرر قتله ! فسأله أولاً : أنشهد أن محمداً رسول الله ؟

قال : نعم .

قال : أنشهد أني رسول الله ؟

فصّامته حبيب ، وأشار بوجهه لا أسمع .

وكرر مسيحة دعواه ، وكرر حبيب رفضه الصامت المستهزئ المستكبر ! وهنا بدأ مسيحة يقطع الشاب المؤمن عضواً عضواً ، كلما سأله فرفض الإيمان به قطع جزءاً من جسمه ، فلما استمر تقطيع الأشلاء ، ونزف الدماء فاصت روح الشاب الخلد وهو يحتقر الباطل ويعز الحق !

وعلمت أمه « نسيبة بنت كعب الأنصارية » بمصرع ولدها على هذا النحو فنذرت ألا تعتسل حتى تثلر لولدها وحتى يقتل مسيحة ، وخرجت المرأة مع ابنها عبدالله واشتركت في معركة اليمامة وقاتلت جيش مسيحة أشد قتالاً ، وأصيبها اثنا عشر جرحاً وهي مقبلة شحاعة ، وقطعت يدها خلال المعركة الشرسة ، لكن خيل الله قتلت مسيحة ومحت أكذوبته بالدم العزيز ، وانتصر الحق ، وزاح الإفك ، وعادت نسيبة بعدما وفّت بتلرها !

أكان أحد يستطيع ردّها عندما خرجت ؟

كلا لقد شهدت من قل قتال أحد ، وشهدت بيعة الرضوان في عمرة الحديبية ، وشهدت فتح مكة ويوم حنين ، ومن قل ذلك شاركت في بيعة

العقبة ، إنها مثل عال للمسلمة المجاهدة التي شرفت أسرتها ودينها
وأعلم أن بعض المتفهبين في عصرنا لو صادف المرأة الصالحة وهي خارجة
من بيتها لتقاتل الكذاب وأتباعه لقال لها : اقعدى في بيتك ، لا يجوز لك هذا !
إن هؤلاء المتفهبين تعرفهم عصور الأصمحلل العفنى ، ولا يمكن أن
يطهروا في مجتمع ناضح أو في سلف صالح

قانون . « الحمد » ١

بيت عريق أحبت عليه الأيام فرلزت مكانته في المجتمع ، وأطمعت من دونه
من الناس أن يتقدم خاطبا لساته وما كان يجوز على ذلك من قبل
وغضب رب البيت لكرامته التي جرحت ، وتساءل في أسف : إذا عرضت
له أزمة عائرة تطاول عليه الصغر ، وجاءه من يريد الرواح نابتة وهو ليس لها
مكعب ؟

لذلك طرد بعنف بالغ الخاطب القادم قائلا له : تريد أن تكون سيذا بأحد
سيذة من بيتنا لا نرتفع إلى مستواها ؟ إذهب عن فلبينات كثرن بعد أن منع
الإسلام وأد البات ! أما ابتنا ففى مكاب العلى لن توخصها أزمة مها
اشتدت !!

وهاك الأبيات التي تمجرت فيها ثورة رب البيت اجريح !!
تبقي ابن كوز - والسفاهة كسمها - لستاد منا أن شتوب لباليا
فما أكبر الأشياء عدى خزاة بأن أثت مزربا عليك وذاريا
وانا على عص الرمان الذى بيا - بعالج من كره المخازي الدواها
فلانظليها ياس كور فيه عدا الناس مد قام النى الحواريا
ون التى حذثها فى أسوها وأعناقنا من الإباء كما هيا
والذى استوقفى من هذه القصة أمران :

أولهما أن الرجل ابدي أخرج الممر تماسك ونحمل آلاما هائلة حتى لا يلُم
بدنيته أو يقترب ما لا يليق به .

والثانى أنه أعز استه وجعل مكانتها فى أمه وعنه على تدل أساما دام حي !

وكلا الأمرين من حلائق لسادة الدين يحترمون أنفسهم وأهليهم ، ولا يعصى
غير ذلك في القصة كلها

والجتماع العرب قديما وحديثا تحكمه تقاليد صارمة بعضها لا بأس به وبعضها
فيه بصر ، واهتمام العرب بنسبهم وسمعتهم قد بخالطه غرور وكبر ، ولكن الأستاذ
أحمد موسى سالم يقول . إن العرب في حياتهم الأولى كن يحكمهم فانون
« الحمد » الذي جاء به سم محمد من مشرق طفولته تأكيداً للمراحل الاصطفاء له
من بين محامد العرب لا من بين مساوئهم ، فكان هو المحمّد بحسب قانونهم
وكان كما هو الواقع وكما قال عن نفسه « خيار من خير من خيار » .
وقد شرحت الخناء هذا القانون الشريف بقولها :

نعف ونعرف حق القرى ونخذ الحمد كنزاً ودخراً !
وتقول أم حاتم الطائي - وكانت في سباق المكارم تجود لمن يسألها بكل
ما تملك -

لعمري لقدّمنا عصي الجوع غصّة فليت أد لا أمتع الدهر جائعاً !
وما إن ترؤن اليوم إلا طيعة ! فكيف تركي يا ابن أُمي الطبايعاً ؟
فهذه امرأة جاعت مرة فأقسمت ألا ترى جائعاً إلا أعطته ما تملك ! وكان من
حقها أن تفعل ذلك ! ولا يستطيع أحد أن يمنعها .
وكانت إحدى حكيماات النساء قبل الإسلام - وهي جمعة بنت الحس - تصف
الصدق وتجعله فوق كل العوائل فتقول .

وحير خلال المرء صدق لسانه ! ولصدق فصل يستبين ويبرز !
وبجارك الموعود من سب اغنى فكن موفياً للوعد ، تُعطى وتجزأ !

وقانون « الحمد » الذي أشار إليه الأديب الكبير جدير بالإقرار مع تعليق
محدود ، فالإسلام يريد ما أن يعمل ابتغاء وجه الله وانتظار مشوته يوم اللقاء
الآخر ، فإذا أحلصنا العمل له سبحانه جازاً بالذكر الحميد في الدنيا ولآخرة ،
ولا يجوز أن نعمل طلباً لثناء الناس ، كما لا يجوز أن نعرض سمعتنا للقليل
والقال .

وفي العرب ميل للفخر والظهور والمباهاة وهي رد ثل تشوب لعمل الصالح وقد تطيح به .

الكل سواء في سباق الفضائل

والحق أن المرأة العربية في الجاهلية الأولى برزت شئلتها الحسن في ميادين كثيرة أيام الحرب وأيام السلم على سوء ، ولم توصع أمامها العوائق التي وضعت أمام المسلمات في عصور الانحطاط العام للأمة الإسلامية وفي صدر الإسلام استطاعت امرأة من الخوارج أن تقود جيشا يهرم الحجاج ويحصره في قصره ويتركه وهو مدعور ، حتى عبره أحد الشعراء على هذا الموقف المحوري بقوله :

أسدُ عني في الحروب معامة تتجاء تنهر من صغير الصافر
ملا بررب إلى عرالة في الوعي بل كان قلبك في جناحي طائر
أما في العهود الإسلامية الأخيرة فإن المرأة ما كانت تدرى وراء حدران بينها شيئا ! وعندما غلبتنا حصارة العرب المنتصر كان هم المرأة أن تفلد في الثوب الرشيق والمنظر الأبيق ! أما في غرور الفصاء واكتشاف الذرة ودراسة الفوس والأفاق فإن الأمر لا يستحق الاكتراث ، لأنه ليس من شأنها ولا من رسالتها !! إن الإسلام لا يقيم - في سباق الفضائل - وزنا لصفات الذكورة والأنوثة ، فالكل سواء في العقائد والعبادات والأخلاق ، الكل سواء في مجال العلم والعمل والحد والاجتهاد .

لا حشوة الرجل تهب له فصلا من تقوى ، ولا نعومة المرأة تنقصها حظا من إحسان .

وفي القرآن الكريم : . من يعمل سوءا يجز به ولا يجذ له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها .

وفي عالم الرياضة اليوم يفصل بين مباريات الرجال والنساء ، وتوصع مسافات وأرقام لكلا الحسنيين على حده ربما صحح هذا في ديب الألعاب لكنه مستحيل في سباق الصالحات ، وكسب الآخرة ، ربما تقدمت امرأة فسقت دوى

الدحي دون حرج وربما تأحرت ولو كانت قرينة أحد الأنبياء ولدلت قلنا
امرأة فرعون خير منه ، ومريم أشرف من رجال كثيرين ، ونوح ولوط خير من
زوجاتهم !!

وأذكر أن أحد الناس قال لي : إن القرآن يرجح لذكورة علي الأنثى !
ويسوق لزعمه قوله تعالى : « وليس الذكر كالأنثى » وهو فهم أعوج !
فالجملة القرآنية وردت على لسان امرأة عمران التي كانت حاملا ، وطلعت أنها
مستلدة رجلا يكون سادنا للمسجد الأقصى وقائدا للعديد والدارسين فيه ، فلما
فوجئت باخلاف ظنها وأنها ولدت أنثى ، قالت هذه الكلمة لأن امرأة لا تصلح
هذه القيادة بطبيعتها .

وقد قبلت الأمر الواقع لأنه مراد الله ! ودعت لابنتها ولذريتها بالصيانة
والرعاية فاستجاب الله الدعاء بأن أعلى قدر المولودة فوق ألوف مؤلفة من البشر ،
وأعلى قدر ابنها فجعله من الأسياء أولى الحرم ..
ولاشك أن هناك وظائف تخص النساء وأخرى تخص الرجال ، ولا علاقة
لهذه التخصصات بموازين العدل أو الفصل الإلهي



❖ ماذا تفعل نساؤنا؟ ❖

من أيام العرب المشهورة في جاهليتهم الأولى يوم «دى قار» عندما أعار
الفرس عن أرض الجزيرة بجيش كبير، وناسى العرب خلافاتهم لمواجهة هذا
الغزو، والتقت القبائل في حجة واحدة للوقوف أمامه
يقول التاريخ إن القائد العربي «حظلة بن ثعلبة» أمر بقطع أحزمة الهودج
الموضوعة فوق ظهور الإبل، وأنزل النساء كي يمشين على الأرض وراء المقاتلين،
ثم نادى في الرجال بصوت سمعه قلب الجيش وجأحاه «ليفاتل كل منكم على
حليته!!»

وكانت هذه الصبحة كفيلة بإشعال الحماس وقتل كل تردد، فانهزم الفرس
هزيمة نكراء وولوا مدبرين...
وفي معركة أحد خرج ساء المشركين وراء الجيش الذي يطلب النار من
هزيمتهم في بدر ومن يتشدن حائات الرجال على الحرب

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

كان للنساء دور كما ترى في كسب المعارك، وكانت هن ذراية بقضايا المجتمع
كبراهن وصغراها!

وقد طهر ذلك في بدء الوحي، فإذا أماهت عم السبي - عليه الصلاة
والسلام - كان مع امرأته في تكذيب الوحي ومقاومة الإسلام بضراوة وحقد!
وكانت المرأة تسمى الرسول «مدحما» لا محمدا!! وتقول «مدحما أيتها» ودينه
قلبي وأمره عصينا».

ومشت هذا الهجاء السعور في مجالس قرش تسفه وتتناول وتبث الفتنة وتؤيد
الكفر، فمرل قوله تعالى فيها «وامرأته حمالة الخطب في حيدها حبل من مسد»
والمرأة كانت من كبراء قريش، لا تشغل بالاحتطاب وبما شبه سعيها بالرقعة
والبهذأة وإيقاد العداوات ضد الإسلام بمن تحمل الخطب للوقود!!

قلت في نفسي . إذا ررق الضلال سوة يصبرته بهذه الحمية ، ويتبين قصاياه
هذه القوة فلماذا يحرم الإيمان نشاطا نسائيا معارضا له ، وافها صده ؟
إن الذي أسقط آخر معاقل الإسلام في الأندلس هما « فردياد وإيرايلا »
رجل وامرأة تكاتفا على إسقاط علم التوحيد ! وفي النساء المسلمات آلاف وآلاف
يستطعن خدمة الإيمان كما استطاعت الشركات خدمة الضلال فلماذا يحزن بسبب
وبين هذه الخدمة ؟

في الانتحاجات لأمرينية كانت امرأة المرشح الديمقراطي لرياسة الولايات
انتحلة تسعى بجروت لصرة زوجها ، وطن الناس أنه كاسب المعركة !
ولما كانت المرأة يهودية فقد قيل : إن ملكة البيت الأبيض ستكون حليفة
إسرائيل !

وشاء الله أن يتصر الحرب الجمهوري ، فإذا الملكة المربقة بحامرها الأسى !
وحاولت أن تتعلب على آلامها بالخمر ، وهي الآن في المستشفى تعالج من
الإدمان ! لأنها تحاول النسيان !

لقد تساءلت : ما هذا الإحلاص ؟ ما هذا الشعور العميق ؟ لماذا لا ينشغل
ساؤون بخدمة المثل الإسلامية بهذه القدرة ؟ من يمسهن ؟ ما يمنعهن إلا جاهلون
بالإسلام .

ما أجمل أن يتطاول الزوجان ، وأن يتعاونوا على مكارم الأخلاق ومحاسن
الشيم !

كان سعد بن ناشب رجلا حاد الطبع قاسي اللفظ ، فلم ترض بذلك
امراته ، ولامته على شراسة حلقه وقساوة كلماته ! فقال يدافع عن سيرته ويشرح
حقيقة نفسه :

تَفْشِدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شَرِّسَقِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أَمْ عَمْرُو وَمَا تَدْرِي !
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا لِيُلْقَى عَلَى حَالٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ !
وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ مَقَاطِظَةٍ وَلَكِنِّي فَظٌّ أَيْ عَلَى الْقَسْرِ !

وهذا اعتذار جميل ! ولكن المهم فيما قصصنا . نصح الروجة لرجلها ورغبتها
في حيره وسلامته !-

نماذج .. من المجتمع العربي

وهذا رجل أحرس على اليد واسع العطاء يتصدق بالجميل من إبله الكثيرة على من جاء يسأله عطاء ، ويقول لامرأته : هئي حبيلا للسائل بقود به جملة الذي وهته له ، وبينهاها عن لومه :

لا تعذلي في العطاء وتسري لكل بعير جاء طالبه حبيلا ..
فلم أر مثل الإبل مالا لمقتى ولا مش أيام الحقوق لها سئلا .
ونجيه امرأته « ليلي » إحانة ها ورثها عبد أهل السجاء والمصل تقول

حلمت بمينا بابين « قحفين » بالذي تكفل بالأرزاق في السهل والحبل
تزال جبال مخضدات أعددها ما مشى منها على خفه جميل ..
فأعط ولا تحس لمن جاء طالبا بعدى ها حطمت وقد راحت العنل

إن هذه النماذج من المجتمع العربي الأول تصور فضائل الإيثار والسخاء التي شاعت فيه والتي حفظت توارده ، وجعلت الأسرة مصدر استقراره ومسائه ، ولا عجب فالأسرة القوية هي الدعامة للمجتمع القوي ، والحافظ لأول لتقاليد ..

وجاء الإسلام فشجع المرأة على الخود من مال البيت - بما لا يضره بداهة -
فعن عائشة أم المؤمنين ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إذا أهقت
المرأة من بيت زوجها كان لها أجرها ، وله مثله مما كسبها وما أنفقت !
وللخازن مثل ذلك من غير أن ينقص من أهورهم شيء » .

وعن أسية بنت أبي بكر الصديق أنها قالت . يا رسول الله ليس لي شيء
إلا ما أدخلني الزبير - أي ما جاء من ماله الخاص به - فهل علي حرج أن أضع
- أن أعطي - عما أدخل علي ؟ فقال . « أرضحي - أعطي - ما استطعت ولا توكني
- تخلي - فيوكي الله عليك !! »

ونحن نتساءل عن الأسرة العربية الآن . هل بقيت فيها تقاليد العطاء
والإفضال على طلاب الصدقات والمعونات ؟ أم عليها التقاليد الوافدة من
لغرب وهي تقاليد تقوم على الأثرة ولكوازة !!

هل ظل لرجال يشمخون بأبوابهم اعتراضا بحماية العرض وصيانة الأهل أم
تسللت برودة التفاليد الأوروبية والأمريكية وأنشأت جيلا آخر له منطق آخر ؟
لقد لاحظت أن المرأة الآن تمحر بأن لديها عشرات المسانين ، الموقفة لأحر
صبيحة في عالم الأزياء ، ذاك إلى جانب ألوان الربة وأدوات الترف وأسباب
الإعراء .

بعد كان لنا في الخاهلية العربي حلائق أركى ، يرسم معلمها حاتم الطائي
وهو يقول لروجه

إذا ما صنعت الزاد ، فالتمسى له أكلا ، فإن لست آكله وحدي !!
أخا طارقا ، أو جدر بيت ، فبني أخاف مدمات الأحاديث من بعدى
وإن لعبد الصيف مدام نازلا ، وما في إلا تلك من شيمة العدا

ما أجمل أن يكون الروحان أديبين ، أو عالمين ، أو كريمين ، أو شجاعين ،
فإن قعدت بأحدهما صورة عارضة ، أو رسوسة هابطة أسرع إليه الآخر فأحد
بيده ، وسنده على الطريق .

امراة .. بالف رجل !!

اجيان كبيرة من عباء الأهر الذي نخرجوا في كلية أصول الدين مديون أديب
وماديا لامراة محسنة وقفت مالها لله ، وأنشأت منه مؤسسات بتحجر الخير منها صد
عشرات السنين ، وسيبقى كذلك ما شاء الله .

وأنا واحد من هؤلاء الذين نالهم ذلك العطاء الدافق ، فقد انتظمت بين
طلاب هذه الكلية من نصف قرن أو يزيد ، وتلقيت الدروس من أهواء جملة من
أكابر عباء الأهر ، وقادة الفكر الإسلامي ، أتيت لهم فرصة التعليم في
قاعات المبنى الذي أنشأته « الخازندارة » ملحقا بمسجدها الجامع الفخم !
كنت الدراسة تبدأ أول العام بحفص مائح في المسجد الكبير يستمع فيه إلى
توجيه أن يطلب العلم لله لا لنديا نصيبها أو حواء يستحقه ، مع تذكير بأئمة العلم
الإسلامي وجهادهم الراكى في تربية الشعوب وحياطة الحق . ثم يذهب كل

منا إلى صفه وفي نفسه قول. أي البلاء في صفة حقه حنى :
 أنفق العمر ناسكا ، يطلب العلم بحث عن أصله واجتهاد !
 لكن من هي الخزانة ؟ التي بنت كليتها ؟
 لا بدري عنها شيئا ! إن البيئات التي عشنا فيها قدما تواضعت عل كتاب
 أسماء النساء ، فلا يجوز أن يذكر اسم الأم ولا اسم الروحة ! فذلك عيب لا يقع
 فيه أهل الإيمان ، لعل الاسم عورة كما أن الصوت عورة !!
 هل الدين باعث هذا الشعور ؟ كلا ، ففي أول العثة الشريعة صاح النبي
 الكريم على الصفا كما ذكرنا من قبل مديا صفية بنت عبدالمطلب ، وفاطمة بنت
 محمد يدعوهما إلى معرفة الله والإيمان به وحده !
 ولم يكن ذكر أسماء النساء عيبا ولا موضع لعط ! إن الدين القاسد قد يبعد
 عن الفطرة مثل أو أبعد مما تفعله الجاهليات الكريمة .
 فلنعد إلى كلية ومسجد الخزانة بعد هذا الاستطراد ، كانت الكلية
 للدراسات التي تؤهل للشهادة العالية ، أما الدراسات الأعلى فكانت تشأ لها
 حلق داخل المسجد نفسه ، وهي حلقات صغيرة بطبيعتها ، ولا أزال أذكر منظر
 الشيخ أمين خطاب الرئيس الثاني للجمعية الشرعية بمصر ، وهو يلقي الدروس
 في « علل الحديث » ، وكان رحمه الله رجلا يكاء شديد الخشية لله يلتف حوله
 طلبته وكأنهم في صلاة خاشعة !!
 على أن أعداد الطلبة زادت هنا وهناك ، وربما الإحساس بضرورة البحث عن
 مكان أوسع ! وهنا سمعت من يقول : إنهم سوف يضمون مبنى الملجأ إلى
 الكلية ، وم أع ما هنالك ثم أدركت أن السيدة المحسنة بنت ملجأ للأيتام يؤويهم
 ويعذوهم ويكسوهم ، وأرصدت لذلك من ملها ما يبع حاجة المحتاجين !
 ولأمر ما لم تنفذ هذه الوصية ! وقال أحد الساعرين : لعله لا يوجد يتامى !
 وأحسست أنا أن جملة من الأهداف السبعة تضع في فوضى التنفيذ ، وسوء
 الرقابة ، وفقدان العلاقة بالله
 إن الواقفين فعلوا الكثير بيد أن المصير مرطوا وخاتوا ولما كانت مصائب
 قوم فوئد عبد قوم . فقد انتقلنا نحن إلى مبنى الملجأ الخالي ، وتلفينا دروسنا في
 قاعاته الخالية .

وأعتقد أن السيدة التي أسدت الحميل لم يقصر ثوبها ذرة ، فقد أدت ما عليها ، وتقررت إلى الله جهدها ، وما فعله الآخرون بتراتها يلقاهم يوم اللقاء الآخر ، يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محصرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا .

وفي أثناء تلقينا الدروس بمبنى الخازندارة ، بدأنا نسمع ضحيج بناء عمارة كبيرة فتساءلنا : ما هذا ؟ قالوا : مستشفى الخازندارة !

الحق أن دعوت من أعماق قلبي للمرأة الصالحة ! تبنى معهدا ومسجدا وملجأ ومستشفى ؟ تشر العلم وتحمي العانة وترى اليتامى وتداوى المرضى ؟ أي قلب زكى في صدر هذه المرأة التي أقرصت الله فرصا حسنا . وادخرت عنده ما ينصر وجهه ، يوم يرى المؤمير والمؤمات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جناب من تحبها الأسهار

الواقع أن النساء الصالحات كثر في تاريخنا ، ما يحلن مجال ولا وقت في سبيل الله ، وقد أدت في صمت ما يعجز عنه الكثيرون ، ويستطيع الباحثون في بطون التاريخ أن يجدوا أسماء متوالية محرومة من الشهرة لها عند الله مكانة رفيعة لا يناها غيرهم .

رحم الله الخازندارة التي استودعت الله ما لها ، وجاهدت في سبيله بتقديم الدواء للمرضى والزاد للجوع ، والعلم لطلابه ، وألمم الرجال والنساء أن يتأسوا بها .





في ضوء القرآن الكريم

- من نفس .. واحدة
- في المجتمع الاسلامي .. الأول
- حرية قبل الزواج .. وبعده
- المسئولية .. على قدم المساواة !
- المساواة والتفرقة .. للمصلحة !

يكتب هذا الفصل

د. محمد سيد طنطاوي



❖ من نفس .. واحدة ❖

إن المتدبر للقرآن الكريم ، يراه قد حصص المرأة بحديث مستفيض ، بين فيه حقوقها وواجباتها ، ورفع من شأنها ، وأثنى عليها بما تستحقه من تكريم ، وشملها في جميع تشريعاته بالرحمة والعدل ، ووكل إليها أموراً هامة في حياة المجتمع ، وسوى بينه وبين الرجل في معظم شؤون الحياة ، ولم يفرق بينهما إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة المصلحة العامة للأمة ، والحفاظ على تماسك الأسرة واستقامة أحوالها ، بل ومنفعة المرأة ذاتها . ومن أبرز مظاهر تكريم القرآن للمرأة ، ووجوه المساواة بينها وبين الرجل ، ما يأتي :

تقرير أن المرأة والرجل من أصل واحد .
وهذه الحقيقة براها في آيات متعددة ، منها قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً .. » الآية ١ من سورة النساء .

والمراد بالنفس الواحدة هنا : آدم - عليه السلام - .
والمراد بقوله تعالى : « زوجها ، حواء » .
والمعنى : يا أيها الناس اتقوا ربكم ، بأن تطيعوه فلا تعصوه ، وبأن تشكروه فلا تكفروه ، فهو وحده الذي أوجدكم بقدرته من نفس واحدة ، هي نفس أبيكم آدم ، وأوجد - أيضاً - من هذه النفس ومن حسنها زوجها ، وهي حواء .
ثم بين - سبحانه - ما ترتب على هذا الازدواج من تناسل فقال : « وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً .. » .

والبث معناه : الشر والتفريق . يقال : بث القائد الخيل في الحرب ، إذا فرقها ونشرها ، ومنه قوله تعالى « وزرابى مشوثة » أى : وبسطة واسعة فخرة ، منتشرة في كل مكان ، ومتفرقة في كل مجلس من مجالس أهل الحنة .
والمعنى : ونشر من هذه النفس الواحدة وزوجها على وجه التوالد والتناسل ، رجالاً كثيراً ، ونساءً كثيرات .

والتعبير بالبث ، يعيد أن هؤلاء الذين توالدوا وتناسلوا ، عن تلك النفس وروحها ، قد تكاثروا وانتشروا في أقطار الأرض على اختلاف ألوانهم ولعائهم ، وأن من الواجب عليهم مهيا تعاقدت ديارهم ، واختلعت المستهم وأشكالهم ، أن يدركوا أنهم جميعا يسمون إلى أصل واحد ، وهذا يقتضى تراحهم وتعاطفهم فيما بينهم

وشبه هذه الآية قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » سورة الحجرات : الآية ١٣ ، أى يا أيها الناس إنا خلقناكم جميعا من أب واحد هو آدم ، ومن أم واحدة هى حواء ، فأنتم كلكم تنسبون إلى أصل واحد ، وجعلناكم شعوبا ذات أعداد كبيرة ، وقبائل تمثل حردا من تلك الشعوب ، ليعرف بعضكم نسب بعض ، فيتنسب كل فرد إلى آباءه ، ولتواصلوا فيما بينهم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولتدركوا جميعا أن أكرمكم عند الله تعالى هو أكثركم خشية لله ، واستجابة لأمره ، سواء أكان من الرجال أم من النساء .

وشبه - أبصا - بهاتين الآيتين في الدلالة على أن الرجل والمرأة من أصل واحد ، قوله سبحانه : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أصيب عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » . سورة آل عمران : الآية ١٩٥ . وقد جاءت هذه الآية الكريمة في أعقاب ذكر جانب من الدعوات الطيبات الخاشعات ، التى تضرع بها المؤمنون الصادقون إلى خالقهم . .

أى : فاستجاب الله تعالى هؤلاء المتقين دعاءهم ، وبشرهم بأنه لا يضيع عمل عامل منهم سواء أكان ذكرا أم أنثى ، لأن الذكر من الأنثى ، والأنثى من الذكر ، لأنهم جميعا قد انحدروا من نفس واحدة .

فمعنى قوله سبحانه : « بعضكم من بعض » : أن الذكر من الأنثى ، والأنثى من الذكر . وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة ، فأكدت هذه الحقيقة ، وهى أن الرجل والمرأة من أصل واحد .

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وأبو داود والترمذى في سننها ، عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنما النساء شقائق الرجال » .

وقد حرم القرآن الكريم تحريما قاطعا ، ما كان شائعا بين بعض قبائل العرب في الجاهلية ، من تفضيل الذكور على الإناث ، ومن واد البسات وهن صغار ومن الآيات التي وردت في ذلك قوله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت » « سورة التكرير » الآيتان ٨ ، ٩ »

ولمط « الموءودة » من الواد ، وهو دفن الطفلة حية .
 أى : وإذا الموءودة سئلت ، على سبيل لتسكيت والتفريع لمن قتلها ، لآى سبب من الأسباب قتلك قاتلك ؟

ولاشك أنها لم ترتكب ما يوجب قتلها ، وإنما القصد من ذلك إلزام قاتلها بالحجة ، حتى يزداد اقتضاحا عن اقتضاحه . وقد حكى القرآن الكريم في آيات أخرى ، ما كان يفعله بعض أهل الجاهلية من قتلهم للبسات وكراهيتهم لمن وضمهم على ذلك ذما شديدا ، فقال تعالى : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم » - أى وهو كئيب حزين - « يتوارى من القوم من سوء أشر به ، أيمسكه على هون ، أى : أيمسكه على هوان ومذلة . « أم يدسه في ب » ، ألاساء ما يحكمون » « سورة النحل : الآيتان ٥٨ ، ٥٩ » .

هى منه .. وهو منها !!

وبين سبحانه أنه وحده الذى يملك أن يمنح لمن يشاء الذكور ، وأن يمنح لمن يشاء الإناث ، فقال تعالى « الله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » « سورة الشورى » الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .
 أى : الله تعالى وحده ملك جميع ما فى السموات والأرض ، وليس لأحد معه شيء لا اشتراكا ولا استقلالا ، وهو سبحانه يخلق ما يشاء أن يخلقه ، من غير أن يكون لأحد وصيه عليه ، أو اختيار لشيء معين

ثم بين سبحانه أن أحوال الناس بالنسبة للدرية لا تحلو من أقسام أربعة : فهو سبحانه إما أن يهب لمن يشاء من عباده الإناث فقط ، وإما أن يهب لهم الذكور فقط ، وإما أن يهب لهم الذكور والإناث معاً ، وإما أن يجعل بعضهم عقيما ، لا درية له . يقال رجل عقيم وامرأة عقيم إذا كانا لا درية لهما

وهذه الأحوال الأربعة ، كتبها مشاهدة في حياة الناس ، مما يدور عن كمال قدرته ، وبهذا مشيئته وحكمته ، لا أراد لفضائه ، ولا معقب لحكمه . قال صاحب الكشف - رحمه الله - فإن قلت : لم قدم الإناث أولا على الذكور ؟ قلت - قدم الإناث لبيان أنه سبحانه يفعل ما يشاء لا ما يشاؤه الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يريدن بعض الناس أهم ، والأهم واجب التقديم . . . تفسير الكشف : ح ٤ ص ٢٣٢ .

ومن كل ذلك يتبين لنا أن الرجل والمرأة من أصل واحد ، وأنها متساويان في طبيعتهما البشرية ، وأنه ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر مما للآخر ، وأنه لا فصل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن المفاضلة بين أي رجل وأية امرأة إنما تقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهما ، وهي الأمور المتعلقة بالكمية ، والعلم ، ومكارم الأخلاق ، وما إلى ذلك ، كما هو شأن المفاضلة بين الرجال أنفسهم بعضهم مع بعض .

وأن ما كان يفعله بعض أهل الجاهلية من كراحتهم للإناث ومن قتلن صغاراً ، هر من أفحش المراحش ، وأقبح القناصع ، وأنكر المنكرات وأن منح الإناث فقط ، أو الذكور فقط ، أو الجمع بينهما ، مرده إلى الله تعالى وحده ، ولا مدخل لمشيئة الشر في ذلك .

ولقد جاءت أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فأكدت هذه الحقيقة ، وهي أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة ، فقال - كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عن عائشة - « إنما النساء شقائق الرجال » . وأمر - صلى الله عليه وسلم - بإكرام النساء في أحاديث كثيرة ، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « استوصوا بالنساء خيراً » وروى الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهان النساء إلا لئيم » . وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أبغضني أبغض الله » من هذه النكات بشيء فأحسن إليهن كن له بيتر من النار .

ولقد تغنى الأدباء والشعراء بمناقب النساء ، ورقة إحساسهن ، وحنان قلوبهن ، وجميل صبرهن . . . ونظر إلى أمير الشعراء أحمد شوقي - رحمه الله - وهو

يرثي مصصمى باشا فهمى ، وقد تولى وترك عدد من لبنات ليس من بيته
رجل فيقول :

أبا البنات ، . رزقتهن كرائى ورزقت فى أصهارك الكرماء
لا تذهبن على الذكور بحسرة الذكر نعم سلاله العطاء
إن السات دحائر من رحمة وكسوز حب صادق ووفاء
والساهرات بعلة أو كبرة والصابرات لشدة وبلاء
والباقيات حين يقطع البكا والزائرات فى العراء النائي
والذاكراتك ماحين تحذبا بسوالف الحرمات والآلاء
عدرا هن إذا ذهبن مع الأسى وطلبن عند الدمع بعض عراء

مساواة . فى التكاليف الشرعية ١

كثيرا ما نرى القرآن الكريم يجمع بين الرجال والنساء فى التكاليف الشرعية ،
وفى الأوامر الدينية ، وفى الثواب على الإحسان ، وفى العقاب على المعصية ، وفى
توجيه الخطاب إليهما ومن الآيات القرآنية التى تدل على ذلك ما يأتى :
قال تعالى : « إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين
والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين
والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين
فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة
وأجرا عظيما » (الأحزاب : ٣٥) .

فهذه الآية الكريمة قد اشملت على عشر فصائل جمع الله تعالى فيها بين
الرجال والنساء ، ويبرهن أن الثواب العظيم كائن لمن يتحلى بها ، سواء أكان من
الذكور أم من الإناث .

وقد ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية روايات منها ما أخرجه الإمام
أحمد والبيهقي وغيرهما عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت قلت للنبي - صلى
الله عليه وسلم - ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت . قسم يرفعني
منه - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إلا بداء على المنبر ، وهو يتلو هذه الآية
الكريمة .

وأخرج الإمام الترمذى فى مسنده عن أم عمارة الأنصارية ، أنها أتت النبى - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، ما أرى كل شىء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن بشىء . فتزلت هذه الآية

وروى ابن جرير عن قتادة قال : دخل نساء على أرواح النبى - صلى الله عليه وسلم - فقلن : قد ذكركن الله تعالى فى القرآن ، وما يذكرنا شىء ، أما فىنا ما يذكر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية

والمعنى : « إن المسلمين والمسلمات » : والإسلام : هو الانقياد لأمر الله تعالى ، وإسلام الوجه إليه ، وتفويض الأمر له - عز وجل - وحده .

« والمؤمنين والمؤمنات » : والإيمان هو التصديق القلبى ، والإذعان الباطنى ، لما جاء به النبى - صلى الله عليه وسلم - من عند ربه

« والقانتين والقانتات » : والقنوت هو المواظبة على فعل الطاعات عن رضا واختيار وانسراح نفسى ، وطمئنان قلبى .

« والصادقين والصادقات » : والصدق هو النطق بما يطابق الواقع ، والبعد عن الكذب والقول الباطل .

« والصابرين والصابرات » : والصبر هو بوطىء النفس على احتمال المكاره والمشاق فى سبيل الحق ، وحبس النفس عن الشهوات التى تساقى مع مكارم الأخلاق .

« والخالصين والخالصات » : والخشوع صفة تجعل القلب والجوارح فى حالة انقياد تام لله تعالى ، ومراقبة له ، واستشعار لجلاله وهيبته .

« والمتصدقين والمتصدقات » : والتصدق : تقديم الخير إلى الغير بإخلاص ، دوما لحاجة ، وعملا على عونته ومساعدته .

« والصائمين والصائمات » : والصوم تهذيب للنفس ، وحمل لها على طاعة الله تعالى ، حتى ترسخ فيها فضيلة التقوى ، والبعد عن كل ما لا يليق

« والحافظين والحافظات » : وحفظ الفرج : كناية عن التعفف والنظهر ، والتصون عن أن يصح الإنسان شهوته فى غير الموضع الذى أحله الله تعالى .

« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات » : وذكر الله يتمثل فى النطق بما يرضيه ، كقراءة القرآن الكريم ، والإكثار من تسبيحه - عز وجل - وتحميده ،

وتكبيره هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات من الرجال والنساء ، أعد الله تعالى لهم مغفرة واسعة لذنوبهم ، وأجر عظيم لا يعلم مقداره إلا الله تعالى .
وقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » سورة النحل . الآية ٩٧ .
أي : من قلم في حياته العمل الصالح وهو صادق الإيمان ، سليم العقيدة ، فلنحيينه حياة طيبة في دنياه ، يظهر معها براحة البال ، وسعادة الحان ، وبالأمان والاطمئنان . أم في الآخرة فسنجزيه جزاء أكرم وأفضل مما كان يعمل في الدنيا من أعمال صالحة .

وقال سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ومسكن طيبة في جنات عدن ورسوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم » الآية ٧١ ، ٧٢ .

أي : أن من صفات المؤمنين الصادقين ، والمؤمنات الصادقات ، أنهم يتناصررون ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وأهم يأمرون بكل خير دعا إليه شرع الله تعالى ، وينهون عن كل شر تأباه تعاليم الإسلام الحنيف ، وأنهم يحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها بحشوع وإخلاص ، ويؤدون الزكاة لمستحقها بدون من أو أذى ، وأنهم يطيعون الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - في سائر الأحوال بدون ملل أو كلل أو تكاسل .
أولئك المتصفون بتلك الصفات الكريمة من الرجال والنساء ، سيرحمهم الله تعالى برحمته الواسعة ، إنه عزيز لا يفلته غالب ، حكيم في كل أقواله وأفعاله .
ثم فصل سبحانه مظاهر رحمته للمؤمنين والمؤمنات أصحاب تلك الصفات فقال : وعد الله تعالى بفضله وكرمه ، المؤمنين والمؤمنات ، جنات تجري من تحت بساينها وقصورها الأنهار خالدين في تلك الجنات حلودا أبديا . . . ووعدهم كذلك « مسكن طيبة » أي : مسكن حسنة ، تنشرح لها الصدور ، وتستطيعها النفوس « في جنات عدن » أي : في جنات ثابتة مستقرة ، ولهم فوق ذلك كله : « رسوان من الله أكبر » ، أي : لهم رضاء الله عنهم ، وتجليه عليهم ، وتشرفهم

بمشاهدة داته الكريمة « ذلك هو الفوز العظيم » أى : ذلك الذى وعد الله تعالى به المؤمنين والمؤمنات ، هو الفوز العظيم الذى لا يقاربه فوز ، ولا يدانيه نعيم ، ولا يسامى شرفه شرف .

خطاب خاص .. لهن !!

وقال سبحانه « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أركى لهم ، إن الله خير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يعضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها ، ولا يضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدین زینتهن إلا لبسولتهن أو أثابهن أو أباء بهولتهن ، أو أبنائهن أو آباء بهولتهن ، أو إخوانهن ، أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولى الأریة من الرجال ، أو الطفل الذین لم یظهروا على عورات النساء ، ولا یصرین بأرجلهن لیعلم ما یخفین من زینتهن ، ونوبوا إلى الله جمیعا أیها المؤمنون لعلکم تفلحون » سورة النور : الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

أى . قل - أیها الرسول الكريم - للمؤمنین بأن یعصوا أعیנם من الطر عما یحرم أو یکره النظر إلیه ، وبأن یحفظوا فروجهم عما لا یجمل لهم . فإن ذلك الذى کلفاک بأمر المؤمنین به - أیها الرسول الكريم - أركى لقلوبهم ، وأظهر لنفوسهم ، وأبفع لهم فی دیالهم وآخرتهم ، وحن لا یخفی علینا شیء من تصرفاتهم ، وسنحاسبهم عن ما یصنعون فی دیالهم يوم اقیامة .

ثم أرشد سبحانه النساء إلى ما أرشد إلیه الرجال فقال : « وقل للمؤمنات یعضضن من أنصارهن ویحفظن فروجهن ، ولا یبدین زینتهن إلا ما ظهر منها . »

أى . وقل أیها الرسول . للمؤمنات ایضا ، بأن من لواجب علیهن أن یکفص أنصارهن عن النظر إلى ما لا یجمل لهن ، وأن یحفظن فروجهن عن کل ما یهی الله عه ، ولا یظهرن شیئا مما یتربى به إلا ما جرت العادة بإظهاره كالوجه والکفین

ومع أن النساء يدخلن في خطاب الرجال على سبيل التغليب ، إلا أن الله تعالى خصهن بالخطاب هنا بعد الرجال ، لتأكيد الأمر بغض البصر ، وحفظ الفرج ، وليبين أنه كما لا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة إلا في حدود ما شرعه الله ، فإنه لا يحل للمرأة - أيضا - أن تنظر إلى الرجل إلا في الحدود المشروعة ، لأن علاقته بها كعلاقتها به ، ومقصدها منه كمقصده منها ، وبظرة إحداهما للآخر - على سبيل المقتضى وسوء القصد - تؤدي إلى الشرور والآثام . وقوله تعالى : « وليضرن بحمرهن على جيوبهن » بيان لكيفية إحصاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها .

والْحُمْرُ - بضم الحاء وإيم - جمع حمار . وهو ما تغطي به المرأة رأسها وعنقها وصدرها . والحيوب - جمع جيب ، وهو فتحة في أعلى الثياب يبدو منها بعض صدر المرأة وعنقها . والمراد به هنا : محله ، وهو أعلى الصدر .
أى : وعلى النساء المؤمنات أن يسترن رؤوسهن وأعناقهن وصدرهن بحمرهن ، حتى لا يطلع أحد من الأجانب على شيء من ذلك .

والمقصود بزيتتهن في قوله تعالى : « ولا يبدین زیتتهن إلا لبعولتهن » : الرينة الخفية ، وهي ما عدا الوجه والكفين ، ك شعر الرأس والذراعين والساقين . .
فقد نهى الله تعالى النساء المؤمنات عن إبداء مواضع الزينة الخفية لكل أحد ، إلا من استثناهن سبحانه بعد ذلك ، وهم إثنا عشر نوعا ، بدأهم بالبعول وهم الأزواج . أى : وعلى النساء المؤمنات أن يلتزموا الاحتشام في مظهرهن ، ولا يبدین مواضع الرينة الخفية منهن إلا لأزواجهن ، أو آبائهن ، أو أبناء أزواجهن ، أو آبائهن ، أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن . .
ويلحق هؤلاء المحارم الأعمام والأحوال والمحارم من الرضاع ، والأصول وإن علوا ، والمروع وإن نعدوا . وقوله : « أو سائتهن » ، أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، بيان لبقية الأفراد الذين يجوز للمرأة أن تبدي زيتها الخفية أمامهم .
أى : ويجوز للنساء المؤمنات أن يبدین زیتتهن - أيضا - أمام النساء المحتصات بخدمتهم ، وأمام ما ملكت أيمانهن من الإماء ، وأمام الرجال التابعين لمن طلبوا للإحسان والمعاونة ، والذين في الوقت نفسه قد تقدمت بهم السن ، ولا رغبة

هم في النساء ، كما يجوز لهم كذلك إظهار ريشتهن أمام الأطفال الذين لا معرفة لهم بعبوديت النساء .

ثم نهى سبحانه النساء المؤمنات ، عن إبداء حركات تعلى عن ريشتهن المستورة ، فقال « ولا يصربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من ريشتهن » أى . ولا يصح لهم أن يصربن بأرجلهن في الأرض ، ليسمعن عبرهن من الرجال أصوات حديهن الداخلية ، بقصد الطلع إيهن ، وإميل بحرهن بالمحادثة وما يشبهها . فالمقصود بالحيلة الكريهة هي المرأة المسلمة عن استعمال أى حركة أو فعل من شأنها إثارة الشهوة أو الفتنة .

ثم ختم سبحانه هذه الآية الحامية لأنواع من الآداب السامية بالنسبة للنساء بقوله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . ومن ذلك يرى أن هاتين الآيتين قد أمرت النساء بـ أمرت به الرجال من عص البصر ، والنحو بالعفاف ، والبعد عن كل رية وشبهة .

وقال سبحانه « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، أن يكون هم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد صل صلاتاً مينا » . الأحزاب : ٣٦ .

قال الإمام ابن كثير هذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء ، فليس لأحد من لرجال أو النساء مخالفتة ، ولا اختيار لأحد فيها قصي الله تعالى به . « تفسير ابن كثير » ج ٦ ص ٤١٧ .

وهند .. تحاور النبي !

وقد أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يبايع النساء كما يبايع الرجال على التمسك بتعاليم الإسلام فقال سبحانه . « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين يهتان يفترته بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك في معروف ، فبايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » . سورة الممتحنة . الآية ١٢ .

أى يا أيها النبی الکریم ، إذا جاءك المؤمنات قاصدات مايعتک علی عدم الإشراک بالله ، وعلى عدم السرقة ، وعلى عدم ارتکاب فاحشة الزنا . . . ومبايعتک كذلك علی عدم قتلهن لأولادهن ، وعلى التزامهن بالصدق والعفاف ، وعلى طاعتک فی کل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه إذا جاءك المؤمنات قاصدات مايعتک علی کل ذلك ، مبايعهن ، واستعمر لهن الله عما فرط منهن من ذنوب ، إن الله تعالى واسع المعفرة والرحمة لمن يشاء من عبده .

فالأیة الکریمة صریحة فی أن النساء يتساوین مع الرجال ، فی مبايعتهن للرسول - صلى الله علیه وسلم - علی الالتزام بالتکالیف الشرعیة ، التي کف الله تعالى بها الرجال .

وهذه المبايعة للنساء قد وقعت - كما یقول العلماء - أكثر من مرة ، إذ منها ما وقع فی أعقاب صلح الحديبية ، بعد أن جاء إلى الرسول - صلى الله علیه وسلم - بعض النساء المؤمنات مهاجرات من دار الکفر إلى دار الإسلام ، كما حدث من أم کلثوم بنت عقبة بن أبی معیط ، ومن سبيعة الأسلمیة ، ومن أمیمة بنت بشر . . .

ومنها ما وقع فی أعقاب فتح مكة ، فندحاه إلیه - صلى الله علیه وسلم - بعد فتحها نساء من أهلها لمبايعته - صلى الله علیه وسلم - علی الإسلام قال الأکوسی : « ومن بايع الرسول - صلى الله علیه وسلم - فی أعقاب فتح مكة : هند بنت عتبة - زوجة أبی سفيان - وقد دارت بیها وبین الرسول - صلى الله علیه وسلم - محاورة معها أنه - صلى الله علیه وسلم - لما قرأ « ولا یسرقن » .

قالت والله إن لأصیب الهمة - أى : الشیء القلیل - من مال أبی سفيان ، وما أدري أحل ذلك أم لا ؟ فقال الی - ما أصبت من شیء فیا مضي بهر حلال لك

فلما قرأ - صلى الله علیه وسلم - « ولا یزنین » قالت : یا رسول الله أو ترى الحررة !!؟

فلما قرأ « ولا یقتلن أولادهن » قالت : ربیناهم صغاراً ، وقتلتهم كبار . تشير إلى قتل ابنها حنظلة فی نزوة بدر ، و فی رواية أنها قالت : « قتلت الأباء

وتوصيها بالأبناء ؟ تشير إلى مقتل أبيها وعمها في غزوة بدر !!
فلما قرأ « ولا يأتين بيهتان يعترينه بين أيديهن وأرجلهن » قالت . إن الهتان
- أي الكذب - لفيح ، ولا يأمر الله إلا بالرشد ومكرم الأخلاق
فلما قرأ « ولا يعصيك في معروف » قالت . والله ما جلسا مجلسا هدا وفي
أنفسنا أن نعصيك .

هذا ، وقد اتفقت كلمة العلماء على أن كل خطاب موجه للرجال من جهة
الشارع الحكيم ، هو موجه . أيضا - إلى النساء ، إلا ما نص فيه على خصوصية
الرجال به ، أو منع مانع من عمومته تلجسين ، واشتهر هذا بين العقلاء حتى
صار معلوما من الدين بالصراحة .



﴿ في المجتمع الاسلامي .. الأول ﴾

وعن مساواة المرأة للرجل في طلب العلم والمعرفة .
لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في طلب العلم ، وإنما طلب منها التزود بالعلم لسافع ، وبالثقافة المديدة ، وبالمعرفة التي تعود عليهم وعن أمتهم بخير .
ولقد شرف الله تعالى - أهل العلم - سواء أكانوا من الرجال أم من النساء تشريعا عظيما ، ومن مظهر ذلك :

أنه سبحانه فرنهم بملائكته في الشهادة له بالوحدانية فقال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم وإنما بالمصط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم »
« سورة آل عمران : الآية ١٨ » .

وأنه قصر خشيتته والخوف منه عليهم ، فقال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » « سورة فاطر : الآية ٢٨ » .

وبين سبحانه أن العلماء وحدهم هم الذين يعقلون ما يصره للناس من أمثال فقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » « العنكبوت : الآية ٤٣ » .

ونفى - عز وجل - التسوية بينهم وبين غيرهم فقال : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب » « سورة الزمر : ٩ » .
ورفع درجاتهم عنده فقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » « سورة المجادلة : الآية ١١ » .

ثم جاءت أحاديث سني - صلى الله عليه وسلم - أكدت هذا التشريف والتكريم ، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « من يرد الله به خيرا يفهمه في الدين »

وروى أبو داود وانترمدي عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من سبك طريقا يتخفى فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة » . وإن العلماء ورثة الأنبياء أي : ورثتهم في سبغ شريعة الله وهداية الناس ، وأن الأنبياء لم يورثوا ديار ولا دوما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أحده به أخذ بحظ وافر » .

ولقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق التعلم والثقافة لكل منهما ، فقد أعطى المرأة الحق نفسه الذي أعطاه للرجل في هذه الشؤون ، فأباح لها أن تحصل على ما تشاء الحصول عليه من علم نافع ، وأدب رفيع ، وثقافة متنوعة ، ومعرفة مفيدة . بل أن شريعة الإسلام لتوجب عليها ذلك في الحدود اللازمة لوقوفها على أمور دينها ، وحسن قيامها بوظائفها في هذه الحياة . وقد حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - على طلب العلم ، وجعله فريضة عليهم في هذه الحدود ، فقال - صلى الله عليه وسلم - « طلب العلم فريضة على كل مسلم » أي على كل فرد مسلم ، رجلا كان أو امرأة بدون تفرقة بينهما .

ولقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجعل وقتا للنساء يخصصه في الإرشاد والتوجيه والتعظيم والإجابة على أسئلتهم .

فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري قال : قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما يقين فيه ، فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما مكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ، إلا كن لها حجانا من النار فقالت امرأة : واثنين ، فقال واثنين .

وفي حديث آخر : جاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما تأتي إليك فيه ، نعلمنا مما علمك الله . قال - صلى الله عليه وسلم - فاجتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلمهن مما علمه الله .

وفي المجتمع الإسلامي الأول كان على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - مسئولية التعلم والتعليم ، قال تعالى مخاطبا أمهات المؤمنين : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفاً خبيراً » [سورة الأحزاب . الآية ٣٤] . وآيات الله تعالى . هي القرآن الكريم ، والحكمة . هي السيرة النبوية الشريفة وكان بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - مدرسة تعاونه فيها نساؤه ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور المرأة المسلمة ، وثقافتها الخاصة ، فضلا عن متبعتهن الدقيقة للكتاب والسنة المطهرة

وقد ذكرت أمهات المؤمنين ، غيرهن من الصحابات ، كثيرا من الأحاديث السنوية في موضوعات شتى ، وكان للسيدة عائشة - رضي الله عنها - النصيب الأكبر في ذلك ، بل كان بعض الصحابة يرجعون إليها إذا ما حصى عليهم شيء يتعلق بالسنة النبوية المطهرة أو بغيرها

المرأة شيخا . واستاذا وراوية !

وقد ذكر الإمام ابن سعد في طبقاته ح ٢ ص ٣٧٥ غادر ذلك منها ما جاء عن ابن موسى - رضى الله عنه - قال « ما كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشكون في شيء إلا سألوا عنه عائشة ، فيحدثون من ذلك عندها علما » .

وعن قبيصة بن ذؤيب قال « كانت عائشة أعلم الناس . يسأله الأكابر من الصحابة »

وعن ابن سلمة قال . « ما رأيت أحدا أعلم سنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أفقه في رأي إن احتجج إلى رأي ولا أعلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة ، من عائشة » .

ولقد كانت - رضى الله عنها - تصحح للناس ما أخطأوا في فهمه ، وترشدتهم إلى العلم القويم ، والرأي السليم في المسألة

ومن ذلك ما رواه البخاري عن عروة بن الربير قال : سألت عائشة - رضى الله عنها - فقلت لها أرأيت قوله تعالى « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة !!

فقلت له شئ ما قلت يا ابن أخي !! إن هذه الآية لو كانت كما أوتيتها لم يفسرها - فكانت . لا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكن الآية نزلت في الأنصار . كانوا قبل أن يدخلوا في الإسلام يهلون لمساء الطاعية - أي : يطوفون أو يتمسحون بهذا الصم ، وكان قريبا من الصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ، فقالوا يا رسول الله : إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله هذه الآية

ثم قالت « وقد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما » .

فأنت ترى أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قد أرشدت ابن احتها عروة بن الربير ، إلى التفسير الصحيح للآية الكريمة ، حيث يست له أن الآية الكريمة قد نزلت لتبيح للمسلمين السعي بين الصفا والمروة ، بعد أن كان بعضهم يتحرج

من ذلك ، لأنهم كانوا في الجاهلية يتمسحون بالأصنام في هذا المكان ، وهم لا يريدون بعد الإسلام أن يعملوا عملاً يذكرهم بما كانوا يفعلونه في الجاهلية بل أن معارفها - رضى الله عنها - لم تكن مقصورة على الشؤون الدينية ، أو آداب العرب وأنسابها ، مع قدرتها الفائقة عن التعبير والخطابة ، ولكنها اكتسبت معارف في الطب كانت ترشد المرضى بها ، وخير سئلت من أين هذا العلم لك بالطلب أحاطت : « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثرت أسماؤه ، فكان أطباء العرب والعجم يعثون له ، فعلمت ذلك منهم »

وقد صرّب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أروع مثل في تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في التسلح بسلاح العلم النافع ، وفي التزود بالمعرفة الصحيحة النافعة ، وفي الحرص على تعلم القراءة والكتابة .

ومن الشواهد على ذلك ، ما جاء في كتب السنة والتاريخ أن الشفاء العدوية - وهي سبذة من فسلة بن عدي - كانت تعرف بالكتابة ، وكانت تعلم الفتيات في الجاهلية ، وكانت حصص ست عمر بن الخطاب - رضى الله عنها - قد تعلمت عنها الكتابة قبل رواحها بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فيما تروّحها - صلى الله عليه وسلم - طلب من الشفاء العدوية ، أن تواصل تعليمها لخصمة ، وأن ترشدها إلى تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة أخرج الإمام مسلم وأبو داود عن الشفاء قالت : دخل عليّ النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا عند حصص ست عمر ، فقال لي : « ألا تعلمين هذه رقية السملة كما علمتها لكتانه » ؟ ريقصد - صلى الله عليه وسلم - برفقه لسملة تحسين الخط وتزيينه

ولقد ذكر المرحوم عبد الله عفيفي في كتابه النفيس « المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها » ح ٢ ص ١٣٨ : « نادح متعددة بساء برور في العلوم الشرعية واللغوية ولأدبية وغيرها .

ومن ذلك أنه ذكر أن الإمام الحافظ بن عساكر النوري - أحدى وسبعين وخمسمائة من الهجرة ، كان له من بين شيوخه وأساتذته بصع وثلاثون من النساء ثم قال : « وقد عقد محمد بن سعد فصلاً في كتابه الطبقات ، بروايات الحديث من النساء أتى فيه على بئف وسعمائة امرأة ، روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو عن الثقات من أصحابه ، وروى عنهم أعلام الدين . وأئمة المسلمين » .

والأمم العاقبة الرشيدة في كل زمان ومكان ، هي التي تحرص على نشر العلم
النافع بين الرجال والنساء على سواء بدون تفرقة بينهم ، ورحم الله شاعر النيل
حافظ إبراهيم ، فقد قال ،

من لي بتربية أسساء فيها	في الشرق علة ذلك الإحفاق
الأم مطروسة إذا أعددتها	أعددت شعب طيب الأعراق
لأم زوجه إن تعهدته الحياء	بالرؤى أوزق أئما إسراق
الأم أستاذ الأساتذة الأني	شعبت مائثرهم مدى الأفاق
ربوا البنات على العصيلة إنها	في الموقفين لهم خير وثاق
وعليكم أن تستبين نساؤكم	مور الحياة ، وعلى أحياء الباقي



﴿ حرية .. قبل الزواج وبعده ﴾

من الذي يتأمل في شريعة الإسلام ، يراها قد سوت بين الرجل والمرأة فيما يسمى بالحقوق المدنية على اختلاف أنواعها ، فأعطت المرأة الحقوق المدنية التي أعطتها للرجل ، لا فرق في ذلك بين حياها من الزواج ، وحياها بعده ، ومن أهم مظاهر ذلك ما يأتي :

أن شريعة الإسلام أحاطت حقوق القاصرات من الستات بسيح من الرعاية والحماية ، فمن كان هذا مال خاص انتقل إليها عن أي طريق من طرق التملك المشروعة ، كالإرث والهبه والرصية وما يشبه ذلك ، وجب على وليها أن يحافظ على هذا المال ، وأن يعمل على نميته واستثماره حتى تكبر فيؤديه إليها كاملا غير منقوص .

وفي مطلع سورة النساء آيات متعددة ، أمرت بالمحافظة على أموال اليتامى ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تاكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حوبا كبيرا » الآية ٢ .
أي : عليكم - أيها الأولياء والأوصياء - أن تحافظوا على أموال اليتامى الصغار ذكورا كانوا أم إناثا ، واحذروا أن تجعلوا رديء المال لهم ، وجيده لكم ، واحذروا - أيضا - أن تصمروا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوها مع أموالكم ، لأن ذلك العمل من باب الظلم العظيم الذي يحاسبكم الله على فعله حسابا عسير ، ويعذبكم بسببه عذابا أليما .

وقال سبحانه : « وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ، فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيبا » الآية ٦ .

أي : عليكم - أيها الأولياء والأوصياء - أن تختبروا اليتامى ، وذلك بتبع أحوالهم في الاهتمام إلى صسط الأمور ، وحسن التصرف في الأموال ، فإن شهدتم منهم « رشدا » أي صلاحا في عقولهم ، وحفظا لأموالهم ، « فادفعوا إليهم أموالهم » دون تأخير أو معاملة عن حسن التدبر ، ولا تأكلوها مسرفين في الأكل ، ومباشرين في الأخذ نخشية أن يكبروا .

ومن كان عييا منكم أيها الأولياء ، فليستعفف عن أكل مال اليتيم ، ومن كان فقيرا فليأخذ من مال اليتيم على قدر حاجته ، فإذا دعتهم إليهم مواههم بعد البلوغ والرشد ، فأشهدوا إليهم عند الدفع ، وكفى بالله تعالى محسبا بكم ، مراقبا لأحوالكم .

ومنى كانت المرأة بلغة عاقلة ، أباح لها شريعة الإسلام أن تتعاهد عن طريق البيع أو لشرء أو الهبة أو الوصية ، أو ما يشبه ذلك من العقود ، وعطتها كامل الأهلية في تحمل الالتزامات ، وفي تملك ما تريد أن تملكه من أموال أو عقارات أو منقولات ، وأن تتصرف فيما تملكه بالطريقة التي تختارها ، ولا يصح لوليها أو لزوجها أن يتصرف في أموالها إلا بإذنها ، أو بتوكيلها إياه في التصرف نيابة عنها ، ويجوز لها أن تسقط هذه الوكالة متى شاءت ، وأن توكل من تريد وكلته عنها . وهى في كل ذلك مثل الرجل سواء بسواء دون أى تفرقة بينهما ، وهذا مما اتفقت عليه كلمة الفقهاء .

وأباح شريعة الإسلام للمرأة أن تختار الروح الذى تريده اختيارا حرا لا إكراه معه ولا إجبار ، وأوجبت على وليها أن يبدأ بأخذ رأيها عند زواجها ، وأن يعرف رأيها قبل العقد ، لأن الروح معاشرة دائمة ، ولا يلوم الوثام ، ويبقى الولد ولاسجام ، ما لم يعرف إيجاب راضية عنه . .

ومن هنا منعت شريعة الإسلام إكراه امرأة - بكرة كانت أم ثيبا - على الزواج من لا تريد الارتباط به ، وجعلت العقد عليها دون استئذانها غير صحيح ، وأباح لها حق المطالبة بفسخ عقد الزواج ، لإبطالاً لتصرفات الزوج المشد ، الذى عقد عليها بدون إذنها أو رضاها

وقد ورد في وحيات استئذان المرأة قبل زوجها أحداث متعددة ، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « الثيب أحق بنفسها من وليها » أى : أحق بنفسها فى أن وليها لا يعقد عليها إلا برضاها - والكر تستأذن فى نفسها ، ودينها صلتها - أى : سكوتها وعن ابن هزيمة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا تنكح الأيم - أى التى لا روح هـ - وسق لها لزواج - حتى تستأمر - أى حتى تصرح برضاها ، ولا تنكر حتى تستأذن » قالوا : يا رسول الله ، كيف إذنها ؟ قال : أن تكف .

وأحرج البخاري وغيره ، عن خساء بنت حزام ، « أن أبها رُوحها وهي ثيب ، فأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرد نكاحها »
وروى ابن ماجة عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال « جاءت فتاة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له : يا رسول الله ، إن أبي روجي من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأمر إياها - أي في قول الرواح أو عدم موله - فقالت : قد أحرت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم أساء أن ليس إلى الآباء من لأمر شيء » .
وإذا احتارت امرأة زوجها ، ولم يرض وليها به من غير سب شرعى ، فلها أن ترفع الأمر إلى القاضي ليتولى عقد رواجها مع من اختارته روجا . بل لقد ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أكثر من ذلك ، فقرر أن للمرأة البالغة الرشيدة ، أن تزوج نفسها بمن تشاء . بشرط أن يكون كفا لها ، وليس لوليها حق الاعتراض عليها إلا إذا روجت نفسها من غير الكفاءة ، أو كان مهرها أقل من مهر مثلها . ومن حجح لإمام أبي حنيفة في ذلك أنها مادامت تستقل بعقد البيع وغيره من العقود ، فمن حقها أن تستقل بعقد رواجها ، إذ لا فرق بين عقد وعقد ..

ضيق المسالك ووجوب الاحتياط !

أمرت شريعة الإسلام كل من له علاقة بالنساء من الأزواج والآباء وغيرهم ، أن يسلّموا الزوجة حقوقها كاملة غير منقوصة ، سواء أكانت تلك الحقوق تتعلق بأمورها أم غيرها ، ومن الآيات القرآنية التي قررت هذا المعنى قوله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طعن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هينا مريئا » النساء : ٤ . وقوله : « صدقاتهن » جمع صدقة - بصم لدال - وهي ما يعطى للمرأة من المهر . وقوله « نحلة » أي : عطية واجبة . يقال نحل فلان فلانا كذا ، إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا مقابل والمعنى : وأعطوا النساء مهرهن عطية عن طيب نفس منكم ، لأن هذه المهور قد فرضها الله تعالى هن ، فلا يجوز أن يطمع فيها طامع ، أو يغتالها مغتال .. وقد كان بعض الأزواج في الجاهلية لا يعطى الزوجة شيئا من مهرها ، ويقول لها أرثك وترثي ؟ فتقول له : نعم ، فأبطل الإسلام ذلك

كما كان بعض الأناء في الحامية يأخذون مهر سائس ، ولا يعطونهن شيئا منها ، وبدا كانوا يقولون لمن وندب له بنت . هيثا لك النافعة أى هيثا لك هذه الست التى تأخذ مهرها ، بلا فتصمها إلى بيتك ، فتعج مالك ، أى : نزيده . وقوله تعالى « فإن طس لكم عن شيء منه نفس فكلوه هيثا مريثا » : بيان للمحكم الشرعى ، فيه لو سارت الروجة عن شيء من مهرها لروحها أو لأبيها عن طيب نفس منها أى فإن تارلس لكم عن شيء من مهرهم عن طيب نفس ، وسماحة قلب ، فكلوه أكلا سائس هيثا ، حانيا من شهة الحرام . قال صاحب الكشف وفى لاية دليل على صيق المسلك فى ذلك ، ووجوب الإحتياط ، حيث بى لشرط عن طيب النفس فقبل ، فإن طس ولم يقل فإن وهى أو سمع ، إعلاما بأن المرعى هو تحلى نفسها عن الموهوب عن طيب خاطر .

والمعنى : فإن وهى لكم شيئا من الصداق ، وتجاقت عنه بموسس طيبات لا لحياء عرض لمن مكم أو من غيركم ، ولا لاضطرارهم إلى البدل من شكاسة أخلاقكم ، وسوء معاشرتكم فكلوه هيثا مريثا « تفسير الكشف ج ١ ص ٤٧١ » . هذا ، ومن الأحكام التى أخذها العلماء من هذه الآية : أنه لا بد فى الرواح من مهر يعطى لمرأة ، وهو أمر لا خلاف فيه بين العلماء . . وأن هذا المهر ملك لها ، ومن حقها أن تنصرف فيه كما شاءت ، ولا يجوز لأحد أن يأخذ منه شيئا إلا بإذنها ورضاها .

قررت شريعة الإسلام أن الرجل إذا أرد الانفصال عن امرأته ، لا يجوز له أن يأخذ شيئا من أموالها الخاصة بها إلا برضاها . ومن الآيات القرآنية التى أكدت ذلك قوله تعالى « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحدا من قطرا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثم مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأحد منكم ميثقا عليصا » النساء الآيةان ٢٠ ، ٢١ . أى . وأن أردتم - أيها الأروح - أن تزوجوا بامرأة تزغون فيها ، مكان أخرى لا تزغون فيها ، وما تزغون فى طلاقها ، وكنتم قد أعطيتهم هذه الروجة التى تريدون طلاقها مالا كثير عن سبل الصداق أو الهمة أو ما يشبهه مما تتحقق معه ملكيتها لهذا المال ، فلا يصح لكم فى هذه الحالة أن تأخذوا من هذا المال

شيئا ، لأنه صار ملك خالصا لها ، ولأن العراق كان سب من جاسكم وليس من جانب زوجاتكم .

والاستمهم في قوله تعالى « أتأخذونه ميثانا وإثما ميبيا » للإنكار والتوبيخ ثم كرر سبحانه هذا التوبيخ لمن يأخذ مالا من زوجته بغير حق فقال : « وكيف تأخذونه » أى : بأى وجه تستحلون هذا المال من زوجاتكم ، والحال أنه قد أفهى بعضكم إلى بعض ، أى : قد اختلط بعضكم ببعض ، وصار كل واحد منكم لباسا لصاحبه « وأخذن منكم ميثاقا عليطا » أى : وأخذ زوجاتكم منكم عهدا وثيقا مؤكدا ، لا يحل لكم أن تعصوه ، وهو حسن المعاشرة ، والمفارقة بإحسان .

وعنى عن البين أن الشريعة التى أعطت للمرأة حرية النمط ، والتصرف ، والتعلم ، وغير ذلك من الحقوق ، لا تبطل عليها بحرية التعبير عن رأيها . . . ولعل حير مثال سوفه لذلك يتعلنى بالآية السابقة ، فقد أورد العلماء أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خطب الناس مرة فقال : ألا لا تعالوا فى مهور النساء ، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا ، لكان أولاكم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن رسول الله ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا من بناته ، فوق اثنتى عشرة أوقية . .

فقامت إليه امرأة فقالت : يا عمر يعطينا الله ونحرمها ؟ أليس الله تعالى يقول : « وآتيتهم أحدهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا » . . ؟ فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، ثم رجع عن قوله .

الله يسمع .. قولها !

ولقد حكى لنا القرآن الكريم ، قصة تلك المرأة ، التى أتت إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وأحدثت تمجده فى شأن ما دار بينها وبين زوجها ، وتراجعه القول مرة ومرة ، فقال تعالى : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير . الدين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ، إن أمهاتهم إلا اللاتى ولدنهم ، وإسهم ليقولون مسكرا من القول ورورا وإن الله لعمو غفور . والدين يظاهرون من نسائهم ،

ثم يعودون لما قالوا ، فتحير رقة من قل أن يتناسا ، ذلكم توعظون به ، والله عما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتناسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، ذلك لتزوموا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، ولللكافرين عذاب أليم . سورة المجادلة ١ - ٤ . وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات منها ما أخرجه الإمام أحمد عن يوسف بن عبدالله بن سلام ، عن خولة بنت ثعلبة قالت . في شأن وفي شأن زوجي - أومن بن الصامت - أنزل الله هذه الآيات .

قالت : كنت عبلة ، وكان شيخ كبير ، قد ماء حلقه ، فدخل عن يوما فراحته في شيء فعضب وقال أنت عني كظهر أمي . قالت . ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم رجع ، فإذا هو يريدني ، فقلت له كلا والله لا تصل إلي وقد قلت ما قلت ، حتى يحكم الله ورسوله بينا بحكمه . .

قالت : ثم ذهبت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحكيت له ما قاله ، فقال - صلى الله عليه وسلم - ما أمرت بشيء في شأنك حتى الآن ، وما أراك إلا قد حرمت عليه - وكان الرجل إذا قال هذا اللفظ لا تحل له امرأته حتى تنكح زوجا غيره .

قالت : فأخذت أجادل النبي - صلى الله عليه وسلم - وأراجع وأقول : يا رسول الله إنه ما ذكر طلاقا ثم تصرعت إلى الله وقلت : اللهم إنك تعلم أن زوجي شيخ كبير ، وأنا امرأة عجز ، ولا عني له عني ولا غني لي عنه ، وإن لي منه أولادا ، إن تركتهم عنده ضاعوا ، وإن أخذتهم معي حاعوا ، اللهم ففرج كربتي وأحلل عقدك .

قالت : وما برحت من جانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى مرت هذه الآيات .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما كان يجري بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين نسائه من مناقشات تدل على إفراح صدره - صلى الله عليه وسلم - لأنهن عندما كن يطلبن منه الريادة في النفقة . .

ومن الآيات التي أشارت إلى ذلك قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحنن سراحا جميلا .

وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما . الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

وقد ذكر المصرون في سبب نزول هاتين الآيتين روايات منها ما جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد الناس جلوسا سابه لم يؤذن لأحد منهم قال فاذن لأبي بكر فدخل .

ثم جاء عمر يستأذن فأذن له ، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - حالما حوله نساؤه

فقال عمر والله لأقولن شيئا يصحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة - روجة عمر - سألتني النفقة ، ففعلت إليها فوحات عنقها .

فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هه حولي كما ترى يسألني النفقة .

قال : فقام أبو بكر إلى ابنته عائشة يضربها ، وقام عمر إلى ابنته حمصة ليضربها ، وكلاهما يقول : تسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما ليس عنده ؟

فقال والله لا تسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا أبدا ليس عنده .

ثم نزلت هاتان الآيتان ، فبدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعائشة فقال لها يا عائشة ، اني أريد أن أعرض عليك أمرا ، وأحب ألا تعجلني فيه حتى تستشيرى أبويك

فالت : وما هو يا رسول الله ؟

فتلا عليها هاتين الآيتين فقالت : أهلك أمشير أبوي يا رسول الله ؟ من أختار الله ورسوله والدار الآخرة

وفعل أزواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل ما فعلت عائشة وهكذا ترى أن حرية الرأي كانت مكفولة للمرأة ، حتى في مناقشة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وأما حرية العمل للمرأة ، فشأها في ذلك شأن الرجل ، إذ العمل حق مشروع لكل من الرجل والمرأة
 وصدق الله إذ يقول « فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيق عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » « سورة آل عمران : الآية ١٩٥ »
 وقال سبحانه « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحسبه حباة طيبة ولنحزبنهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » « سورة الححل الآية ٩٧ »

وليس في شريعة الإسلام ما يمنع المرأة من أن تكون طبيبة ، أو مدرسة ، أو تاجرة ، أو في أي عمل شريف حلال ، تنبى من ورائه الرزق الحلال الذي يغنيها عن سؤال الناس ، وتؤدبه بعفاف واحتشام وستر لما أمر الله بستره منها
 لقد أباحت شريعة الإسلام للمرأة أن تصطلع بالوظائف العامة ، وبالأعمال المشروعة ، التي تحسن أداءها ، ولا تتنافر مع طبيعتها كأنثى ، ولم تقيد هذا الحق إلا بما يحفظ لها كرامتها ، ويصونها عن التلذذ ، ويبأى بها عن كل ما يتعارض مع الخلق الكريم ، والسلوك الحميم ، وقيامها بواجباتها المنوطة نحو أولادها وزوجها وبينها ، لأن هذا هو الأصل في حياتها ..

والمتدبر لأحوال المجتمع الإسلامي في العهد النبوي وفي عهود الصحابة ، يرى أن النساء كن يقمن بكثير من الأعمال داخل بيوتهن وخارجها .
 فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، بعد أن تزوجت بالزبير بن العوام - رضي الله عنه - تقول عن نفسها : « كنت أخدم الربير خدمة البيت كله ، وكنت أموص فرسه ، وأعلفه . . وكنت أحرز الدلو ، وأسقى الماء ، وأجل النوى على رأسى من أرخص له على ثلثي فرسخ » .

وهذه عائشة وأم سليم - رضي الله عنهما - كانا يخدمان المحاهدين في غزوة أحد . فهي الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه - قال : « رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم ، حين أهرم الناس يوم أحد ، وإيهما المشمرتان ، ينقران سآى يحملان - القرب عن مونهما ، تفرغها في أفواه القوم » .

وهذه أمية بنت قيس العامرية ، أبليت بلاء حسا في غزوة خيبر ، فقلدها الرسول بعد الغزوة قلادة تشبه الأوسمة لمسكينة في عصريا ، فكانت تربس بها صدرها ، طول حياتها ، وأوصت بدفنها معها بعد وفاتها

وهكذا يرى أن الإسلام لم يمنع المرأة من أي عمل شريف ، يعود عليها وعل أمتها بالخير .

❖ المسؤولية .. على قدم المساواة ! ❖

من المبادئ والأسس التي قامت عليها شريعة الإسلام معاملة الناس جميعا على قدم المساواة فيما يتعلق بمسئوليتهم عما يقولونه أو يعملونه ، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة ، أو غني أو فقير ، أو عذر أو صديق ..

فالعادلة الإسلامية لها ميراث واحد يعطى على الجميع بدون تلم أو محاباة . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن عتيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خيرا » سورة النساء : الآية ١٣٥ .

وقال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى » . سورة المائدة . الآية ٨ .

ومن القواعد المقررة في شريعة الإسلام ، أن المرأة كالرجل في تحمل المسؤولية ، وفي الكرامة الإنسانية ، ومن الأدلة على ذلك ما يأتي .
أنهما يستويان في الثواب على الطاعة ، وفي العقاب على المعصية . قال تعالى : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها » سورة النساء الآية ١٣٤ .

وقال سبحانه « يا نساء النبي من يأت منكن بهائشة ميسة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا » ومن يقتلت مكرن الله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما » سورة الأحزاب : الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

وإذا كان سبحانه قد توعد أمهات المؤمنين بالعقاب على المعصية ، وبالثواب على الطاعة ، فأولى ثم أولى غيرهن ممن هن دوسر في المنزلة والمعنى . يا نساء النبي من يأت منكن بهائشة طاهرة الفصح ، يضاعف الله سبحانه لها العذاب ضعفين ، لأن المعصية من رفيع الشأن ، تكون أشد قبحا ، وأعظم جرما ، وكان ذلك التضاعف للعذاب لمن يسير وهيا ، لأنه سبحانه لا يصعب عليه شيء .

ومن يلزم مكن الطاعة - يا أمهات المؤمنين - ويحرص على مرصاة الله ورسوله ، وتعمل عملا صالحا ، تؤتها أحرها مصاعفا - أيضا - وهبانا ما رزقا كريما لا يعلم مقداره إلا الله تعالى .

وهكذا يرى أن الله - عز وجل - قد مير أمهات المؤمنين فحمل حسنتهن كحسنتين ، وسيتهن بمقدار سيئتين لغيرهما - أيضا - وذلك لعظم مكانتهن ، ومشاهدتهن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يشاهد غيرهن ، من سلوك كريم ، وتوجيه حكيم .

وقال عز وجل : « الراية والراى ناجدوا كل واحد منها مائة حلدة ، ولا تأحدكم بها رافة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عدايبها طائفة من المؤمنين » سورة النور : الآية ٢ .

وقال سبحانه : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، أى : عقوبة رادعة من الله لهما » والله عزير حكيم » المائدة : ٣٨ .
وقال تعالى : « ليس بأمانيتكم ولا أمن أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجدره من دون الله وبها ولا نصيرا » سورة النساء : الآية ١٢٣ .
وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما جاء عن قتادة أنه قل ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتحروا فقال أهل الكتاب : بيب قل بيبكم ، وكتابا قل كتابكم ، فبحر أولى منكم وقال المسلمون نحن أولى بالله منكم ، وبيب حاتم السير ، وكتابا مهمين وأمين على الكتب التي من قبله ، فأمر الله هذه الآية .

أى ليس ما تنصونه من ثواب ، حاصلا بمجرد التمسى ، وإنما هذا الثواب يحصل بسبب الإيمان والعمل الصالح ، سوء أكان من ذكر أم من أنثى كما أن العقاب يأتي بسبب ارتكاب السيئات سوء أصدرت من ذكر أم من أنثى وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى » سورة البقرة : الآية ١٧٨ ، والمقصود من الآية الكريمة وجوب تنفيذ القصاص بالعدل والمساواة ، ونفى ما كان شائعا في الجاهلية من أن القبيلة القوية كانت إذا قُتل منها العبد ، قتلت في مقاسه حرا ، وإذا قتلت منها أنثى ، قتلت في مقابلتها ذكرا . وليس المقصود أنه لا يقتل صنف بصف حر ، فقد أجمع الفقهاء على قتل الذكر بالأنثى ، وقتل الأنثى بالذكر ، عند اعتداء أحدهما على الآخر .

ولها حق الجوار .. والامان !!

والمرأة كالرجل في وحب صباه عرصها ، ووجوب عقوبه من يقدفها بالتهمة لباطلة .

قال تعالى « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثنا مبينا » سورة الاحزاب : الآية ٥٨ .

أى : والذين يرتكبون في حق المؤمنين والمؤمنات ما يؤذيهم في أعراضهم أو في أنفسهم أو في غير ذلك مما يتعلق بهم ، دون أن يكون المؤمنون أو المؤمنات قد فعلوا ما يوجب آذهم ، فقد ارتكبوا إثما شنيعا ، وفعلوا قبيحا ، ودبوا ظاهرا بينا ، سبب إيدائهم للمؤمنين والمؤمنات . وقال تعالى : « إن الذين يرمون المحصنات العافلات المؤمنات ، لعسوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » سورة النور : الآية ٢٣ .

أى : إن الذين يرمون بالفاحشة النساء المحصنات المانعات أنفسهن من كل سوء وريبة ، العافلات عن أن تدور الفاحشة بأذهابهن ، الكاملات في إيمانهن ، إن الذين يفعلون ذلك في حقهن . طردوا من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم لا يعلم مقداره أحد سوى الله تعالى

وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الماسفون » « النور : ٤ » . أى : إن الذين يرمون النساء العفيفات بالفاحشة ، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون لهم على صحة ما قد فوهن به ، فاجلدوا - أيها الحكام - هؤلاء القادفين ثمانين جلدة ، عقابا لهم على كذبهم ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا لعسفهم ، وخروجهم على أحكام شريعة الله تعالى .

فأنت ترى أن الله تعالى قد صان أعراض عباده من الرجال والنساء ، فعاقب القاذفين للمحصنات بثلاث عقوبات .

أولها : حسية ، وتشمل جلد القادفين ثمانين جلدة ، وهي عقوبة قريية من عقوبة الزنا .

وثانيها : معنوية ، وتتمثل في عدم قبول شهادة هؤلاء القادفين أو القاذفات

وثالثها ديبة ، وتتمثل في وصف الله تعالى لهؤلاء القادحين والقذفات بالمسقى والخروج عن طاعته .

ومعاقب الله تعالى هؤلاء القادحين في أعراض المؤمنين والمؤمنات ، تنتد العقوبات الرادعة ، إلا لحماية الأعراض من ألسنة السوء ، وصيانتها من كل ما يחדش كرامتهم ، ويخرج عفافهم .

وأقصى شيء عى أصحاب العفاف - ولا سيما النساء - أن تلصق من التهم الماطية ، التي هن بريئات منها ، وغافلات عنها .

والمرأة كالرجل في تحمل مسئولية ما تكلف به من أعمال ، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كلكم راع ومسئول عن رعيته . الإمام راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته . والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته . والخادم راع في ما بين يديه ومسئول عن رعيته . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

والمرأة كالرجل في تكريم الله تعالى لها ، وفي احترام حق جوارها . قال تعالى : (ولقد كرّمنا نبي آدم وحملناه في البر والبحر ، ورزقناه من الطيبات ، وفضلناه عن كثير ممن خلقنا تفضيلاً) سورة الإسراء : الآية ٧٠ . وغنى عن البيان أن المقصود ببي آدم الدين كرمهم الله تعالى : ما يشمل ذكورهم وإناثهم . ولقد احترمت شريعة الإسلام قيمة المرأة ، وأعطتها حق الجوار والأمان كما أعطت ذلك للرجل ، فإذا أجرت أحداً أو أمته ، وحب على المسلمين ، أن ينفذوا جوارها ، وأن يحرموا وعدّها . فقد ثبت في الحديث الصحيح ، أن أم هانئ - بنت أبي طالب ، جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة فقالت : إني أجرت رجلاً من أميائي - أي . من أقارب روجي - فقال لها - صلى الله عليه وسلم - قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ . أي . قد قبلنا جوارك ، وأصبح من أحد ملك الأمان في أمان - أيضاً - ما وهكذا نرى بوضوح أن شريعة الإسلام قد قررت مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في كثير من الأمور .

فهما متساويان في أنها من أصل واحد هو آدم وجواء
وهما متساويان في التكاليف الشرعية التي أوجبها سبحانه عليهما
وهما متساويان في طلب العلم ، وفي التروء بالمعرفة السامعة

وهما متساويان في حق التملك ، والتصرف ، والتعير ، والعمل
وهما متساويان في تحمل المسؤولية وفي الكرامة الإنسانية
ولا فصل لأحدهما على الآخر إلا بالإيمان والعمل الصالح ، كما قال
مسيحاته . « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .



المساواة والتفرقة .. للمصلحة !!

ولكن هل معنى هذه المساواة ، أنه لا توجد أية فوارق بين الرجل والمرأة ؟
لحق أن شريعة الإسلام قد فرقت بين المرأة والرجل في أمور معينة ، لأن
العدالة ، والمصلحة ، وسعادة الحسنيين ، وطبيعة كل منهما تقتضي ذلك ، إذ
هناك فروقات لا يتغير ، والرجل رجل في خصائصه وتكوينه ، والمرأة امرأة في
خصائصها وتكوينها

وقد أشار القرآن الكريم في مواضع متعددة ، إلى تلك الفوارق بين الرجل
والمرأة ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولا تنموا ما فصل الله به بعضكم على
بعض ، للرجل نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله
من فضله ، إن الله كان بكل شيء عبيدا » سورة النساء الآية ٣٢ .
وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها : ما أخرجه الإمام
أحمد والترمذي ، عن مجاهد قال : كانت أم سلمة - يا رسول الله ، يخزوا الرجال
ولا يعرفون ، ولما نصف الميراث ، فأمر الله هذه الآية

وقال قتادة : كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ، فلما وُثِّقوا
وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، غمى النساء أن لو جعلت أنصاهن كأصنام
الرجال وقال الرجال : إنا لرجو أن يفصل على النساء بحسنات في الآخرة ،
كم فضلنا عليهن في الميراث ، فزلت هذه الآية

والتمنى المصطفى عليه السلام : هو الذي يتضمن معنى الطمع فيه في يد الغير ،
والحسد له على ما آتاه الله من مال أو جاه أو غير ذلك مما يجري فيه التنافس بين
الناس . وذلك لأن التمني بهذه الصورة يؤدي إلى شقاء النفس ، وفساد الخلق
والدين ، ولأنه أشبه ما يكون بالاعتراض على فسخة الخالق لتعليم الخير بأحوال
حلمه ، ويشنون عهده .

أي : ولا تنموا - أيها الرجال وأيهما النساء - ما فصل الله به بعضكم على
بعض في المال أو في غيره من شئون الحياة ، لأن حكمة الله قد اقتضت أن يجعل
لكل من فريق الرجال والنساء حظا مقدرًا مما اكتسبوه من أعمال ، ونصيب معين
فيما ورثوه أو أصابوه من أموال

وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يبق بعقل أن يمتنى خلاف ما قسم الله له من رزق . بل عليه أن يرضى به ، فهو سبحانه الذى قسم الأوراق والخصائص بين الرجال والنساء على حسب ما تقتضيه حكمته ، وهو الذى كلف كل فريق منهم بواجبات وأعمال تليق باستعداداته وتكوينه .

وهذه ثمادح لأمر فرقت فيها شريعة الإسلام بين الرجال والنساء :
فى مجال العبادات نجد شريعة الإسلام قد أسقطت عن المرأة الصلاة فى حال حيضها ونفاسها ، ولم تكلفها بقضائها بعد طهرها رحمة بها ، ودفعاً للمشقة عنها . كذلك أوجبت عليها الفطر فى رمضان فى حالتين الحالتين ، على أن تقضى ما أفطرته بعد شهر رمضان

فعى الصحیحین عن معاذة قالت سألت عائشة - رضى الله عنها - ما بال إختص - والنساء - تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ فقالت كان يصيبنا ذلك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مؤمر بمصاء الصوم ، ولا يؤمر بمصاء الصلاة وأيضاً فى حال حيضها ، لم تكلف شريعة الإسلام المرأة بارتداء لبس الإحرام ، - الإرداء والرداء - سترها ، وصيانة لجسدها عن كشف ما لا يصح كشفه منه .

وفى مجال الأعباء لاقتصادية ، خفضت شريعة الإسلام للمرأة حناح الرحمة ، وكفلت لها من أسباب الرزق ما يحميها من التبدل ، ويصونها من شرور الكدح فى الحياة ، وألقت بمعظم هذه الأعباء الاقتصادية على كاهل الرجل فالمرأة قبل زواجها . أوجبت شريعة الإسلام نفقتها على أصولها أو فروعها ، أو أقربائها ، مادامت لا تملك من المال ما يكفيها . أما فى حالة زواجها : فنقضتها على زوجها ، حتى ولو كانت تملك من المال ما يعيها عنه

وقد فصلت كتب الفقه أحكام نفقة المرأة فى جميع مراحل حياتها ، تفصيلاً دقيقاً حكيمياً وحتى فى حال لطلاق ، فإن الزوج يتحمل جانباً كبيراً من أمواله لزوجته ، إذ عليه أن يدفع لها مؤخر الصداق ، وعليه نفقتها من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن مادامت فى العدة ، وعليه نفقة أولاده وأجور حسانتهم وتربيتهم ..

وقد أمر القرآن الكريم بحسن معاملة النساء المطلقات ، وهى عن الإساءة إليهن بأى لون من ألوان الإساءة ، ومن الآيات التى صرحت بذلك قوله تعالى :
« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجلكم ، ولا تضاروهن لتضيّقوا عليهن ،

وإن كن أولاب حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم مائتوهن أحورهن ، وأنتموا ببيكم معروف من تعسرتن فسترضع له أخرى ، « الطلاق : ٦ » .

أي . أسكوا النساء المطلقات في بعض البيوت التي تسكنونها ، والتي في وسعكم وطاقتكم إسكانهن فيها . ولا تستعملوا معهن ما يؤذيهن لكي تضيقوا عليهن ما محه الله لمن من حقوق ، وإن كن في حالة حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن هذا الحمل ، فإذا ما ورضعن حملهن وأردتن أن يرضعن لكم أولادكم منهن ، فعليكن - أيضا - أن تعطوهن أحورهن على هذا الإرضاع ، وعليكن يا معشر الرجال والنساء أن تشاوروا فيما ينفع أولادكم ، فإن اختلفتم فابحثوا لأولادكم عن مرصعة أخرى ، حفاظا على حياتهم .

ومن كل ذلك يرى أن شريعة الإسلام قد رفعت عن كاهل المرأة كثيرا من الأعباء الاقتصادية في جميع مراحل حياتها ، وألفت لها على كاهل الرجل

وتكون شهادتها .. هي الأصل

وفي مجال التوارث جعلت شريعة الإسلام نصيب المرأة نصف نصيب الرجل . . قال تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كن نساء فوق اثنتين عليهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلهما النصف . . » « النساء - ١١ » ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها : ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال عادتني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مرض نزل بي - فوجدني لا أعقل شيئا ، فدعا بماء فغصا به ثم رش عليّ منه فأفاق . فقلت يا رسول الله ، ما تأمر أن أصنع في مالي ؟ فنزلت هذه الآية .

وأخرج أبو داود والترمذي عن جابر - أيضا - قال حدثت امرأة سعد بن الربيع بأنبتها من سعد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت يا رسول الله ، هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قُتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا ، وإن عمهم أحد ما لم يترك لهما شيئا - لأن النساء قبل نزول هذه الآية لم يكن لهن نصيب من الميراث ، ولا تنكحن إلا ولهما مال - فقال - صلى الله عليه وسلم - « يقضي الله في ذلك » فنزلت هذه الآية .

صعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عمه فقَالَ له : أعط ابنتي سعد
الثلاثين ، ولأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك .
والمعنى : يعهد الله تعالى إليكم ويأمركم - أي المؤمنون - أمراً مؤكداً ، في
شأن ميراث أولادكم من بعد موتكم ، أن يكون نصيب الذكر منهم ، ضعف
نصيب الأنثى .

وقد جعل سبحانه نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى بعد أن كانت لا تراث
شيئاً قبل الإسلام ، لأن التكييفات المدنية على المرأة ، تفل كثيراً عن التكييفات
المالية على الذكر ، إذ الرجل مكف بالنفقة عن نفسه ، وعلى أولاده ، وعلى
زوجته ، وعلى كل من يعولهم ، بينما المرأة - كما سبق أن بينا - نصيبها من الميراث
لها خاصة ، لا يشاركها فيه مشارك ، اللهم إلا عن سبيل الترع والمساعدة
لغيرها .

وهذا يشين مظهر من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة ، ورعايته لأمرها .
وفي مجال الشهادة ، احترمت شريعة الإسلام شهادة المرأة في الشئون السوية
الخاصة التي لا يعرفها إلا النساء ، واعتبرت أنها هي الأصل في رد الحقوق إلى
أهلها . وفيما عدا ذلك من الأمور التي تقبل شهادتها فيها كالأموال ، جعلت
شهادة المرأتين معادلة لشهادة رجل واحد ، ولا تكون الشهادة كامدة الأركان
إلا إذا شارك فيها الرجال .

قال تعالى في أطول آية في القرآن ، وهي الآية التي تسمى بآية « الذَّيْن » :
« واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن
ترضون من الشهداء ، أن تصل أحدهما فتذكر إحدهما الأخرى » البقرة
٢٨٢ ، أي : اطلوا - أيها المسلمون - شاهدين عدلين من الرجال ، ليشهدوا
على ما يجري بينكم من معاملات ، لأن هذا الإشهاد يعطي الديون توثيقاً
وتشيتاً . فإن لم يتيسر رحلان للشهادة ، فليشهد رجل وامرأتان ، ممن تشقون
بدينهم وحلقهم . .

وقد جعلنا المرأتين يدين رجل واحد في الشهادة ، خشية أن تنسى إحدهما ،
فتذكر كل واحدة منهما الأخرى ، إذ المرأة لقوة عاطفتها ، وشدة انفعالها
بالحوادث ، قد تنوهم شيئاً ما يحدث ، فكان من الحكمة أن يكون مع المرأة
أخرى في الشهادة ، بحيث يتذكرن الحق فيما بينهما . فقوله سبحانه : « أن

تصل احدهما - أى تسي احدهما - فتذكر احدهما الأخرى « بيان لمحاكمة
في أن المرأتين تقومون مقام الرجل الواحد في الشهادة

فضل درجة يقابل فضل واجب

وفي مجال المسؤولية عن الأسرة . جعلت شريعة الإسلام حق القوامة والرياسة
للرجل لا للمرأة ، لأنه هو المكلف بالإعفاق ، وهو الأقوى على تحمل هذه
المسؤولية . وهذه القوامة والرياسة للرجل في الأسرة ، تقوم على المودة
والرحمة ، لا على الاستبداد والقسوة . . .

وقد قرر القرآن هذه القوامة والرياسة للرجل في آيات منها قوله تعالى
« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزير حكيم »
« البقرة : ٢٢٨ » أى . وللنساء على الرجال ، مثل ما للرجال على النساء ،
ليؤد كل واحد منهما ما يجب عليه نحو الآخر بالمعروف . والمراد بالمثالة - كما
' الألويسي - « المثالة في الوجوب لا في جس الفعل ، فلا يجب عليه إذا
ت ثيابه ، أو أعدت طعامه ، أن يفعل لها مثل ذلك ، ولكن يقابله ع يليق
رجالاً » .

أى : أن الحقوق والواجبات بينهما متبادلة ، وأنها متماثلان في أن كل واحد
منهما عليه أن يؤدي نحو صاحبه ما يجب عليه ، حسب تقره الطماع السليمة .
وتوجه شريعة الله تعالى ولكيلا بهم أحد أن المراد بالمثلية المساواة من كل
الوجوه ، قال تعالى : « وللرجال عليهن درجة » .

والدرجة في الأصل . ما يرتقى عليه من سلم ونحوه . والمراد بها المزية
والريادة أى . وللنساء على الرجال من الحقوق ، مثل ما للرجال عليهن ،
إلا أن للرجال على النساء مزية وريادة في الحق ، بسبب حمايتهم لهم ، وقيامهم
بشؤونهم ومقنتهم وعبر ذلك من واجبات ومسؤوليات

قال بعض العلماء . « وإذا كنت الأسرة لا تتكون إلا من إزدواج هذين
العصرين - الرجل والمرأة - فلا بد من أن يشرف على تهذيب الأسرة ، ويقوم على
تربية ناشئتها ، وبوريع الحقوق والواجبات فيها أحد لعصرين

وقد نظر لإسلام إلى هذا الأمر نظرة عادلة ، فوجد أن الرجل أمدك لرمم نفسه ، وأقدر على ضبط حسه ، ووحده الذي أقام البيت بمانه ، وأن انهياره حراب عليه ، فجعل له الرئاسة .

هذه هي لدرجة التي جعلها الإسلام للرجل ، وهي درجة تجعل له حقوقا ، وتجعل عليه واجبات أكثر ، فهي موازنة كل المراءة لصدر الآية ، فإذا كان للرجل فصل درجة ، فعليه فصل واجب .

وقال سبحانه « الرجال قوامون على النساء بما فصل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات لدين الله ، واللاتي تحافون شوذهن معظوهن ، واهجروهن في المصجع ، واصر بوهن ، وإن أطعكم فلا تبغوا عيهن شيئا ، إن الله كان عليا كبيرا » سورة النساء الآية ٣٤ . قال القرطبي : برلت هذه الآية في سعد بن الربيع ، نشزت عليه امراته حبسة ست ريد من حارحة ، فذطمها ، فقال أبوها يا رسول الله روحته كريمي فذطمها فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لتقتص منه » . فانصرفت مع أبيها لتقتص من زوجها ، فقال - عليه الصلاة والسلام - « إرجعوا هذا جبريل أتاني » . وأمر الله هذه الآية وقوله تعالى : « قوامون » جمع قوام على وزن فعال ، للمبالغة ، من القيام على الشيء وحفظه

يقال : قام فلان على الشيء ، وهو قائم عليه ، وقوام عليه ، إذا كان يرعاه ويحفظه ويتولاه . ويعد فلان قيم المرأة وقوامها ، لئذ يقوم بأمرها ، ويهتم بحفظها وإصلاحها ورعاية شئونها .

أي : الرجال يقومون على شئون النساء بالحفظ والرعاية ، والنفقة والتأديب ، وغير ذلك مما تقتضيه مصلحتهن ثم ذكر سبحانه مسين لهذه القوام

أولها وهي ، وقد بيده سبحانه يقوه - « بما فصل الله بعضهم على بعض » أي : أن حكمة الله اقتضت أن يكون لرجال قوامين على النساء ، بسب ما فصل الله به الرجال على النساء ، من قوة في الجسم ، ومن ريادة في العلم ، ومن قدرة على تحمل أعباء الحياة وتكاليفها ، وما يستتبع ذلك من دفاع عنهن إذا ما تعرضن للأخطار .

والمراد بالتفصيل هنا تفصيل احسن على اجس ، لا تفصيل الأحاد على الأحاد ، فقد يوجد من النساء من هي أقوى عملاً وأكثر معرفة من بعض الرجال . وقال سبحانه . « كما فصل الله بعضهم على بعض » ولم يقل - مثلاً - كما فصلهم الله عليهم ، للإشعار بأن الرجال من النساء والنساء من الرجال ، كما قال سبحانه في آية أخرى « بعضكم من بعض » ولإشارة إلى أن هذا التفصيل هو لصالح العريقين ، فعلى كل فريق منهم ، أن يتفرغ لأداء المهمة التي كلفه الله تعالى بها ، بإخلاص وطاعة ونجدة ، حتى يسعد الفريقان .
وأما السبب الثاني فهو كسبي ، وقد بيّنه سبحانه بقوله « وبما أسفروا من أموالهم » أي أن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء ، بسبب ما فضل به الرجال على النساء من علم وقدرة ، وبسبب ما أكرم به الرجال من إنفاق على النساء ، ومن تقديم المهور لمن عند الرواح ، ومن القيام برعايتهن وصيانتهم

الدواء .. الأخير

ثم شرع سبحانه في تفصيل أحوال النساء ، وفي بيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن ، فقسمهن إلى قسمين ، فقال في شأن القسم الأول « فإصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .
أي : فالنساء الصالحات من صفاتهن أهن « قانتات » أي - مطيعات لله تعالى ولأرواحهن عن طيب نفس واطمئنان قلب ، ومن صفاتهن كذلك ، أهن بحفظهن في عيبة أرواحهن ما يجب حفظه من عفاف ومال وغير ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية ، بسبب حفظ الله لهن ، وتوفيقهن للعمل الصالح . هذا هو القسم الأول من النساء . أما القسم الثاني فهن ، فقد قال سبحانه في حقهن « واللاتي تحامون بشورهن ، معطوهن ، واحضروهن في المصاحم ، واحضروهن » .
والمراد بقوله : « بشورهن » أي : بمعصيتهن وخروجهن عما توجه له الحياة الزوجية من طاعة الزوجة لزوجها . يقال شزت المرأة بشورا ، إذا عصت زوجها وامتنعت عليه .

وأصل النشور مأخوذ من النثر ، بمعنى الإرتفاع في وسط الأرض السهية المسطحة ، فشبهت المرأة المتعالية على زوجها بالمرتفع من الأرض والمعنى . هذا هو شأن النساء الصالحات القانتات الحافظات للغيب بسبب حفظ الله لهن .

أم النساء اللاتي تحافون عصيانهن لكم ، وترفعهن عن مطاوعتكم ، « معطوهم » بالقول الذي يؤثر في القلب ، ويرجعهم نحو الخير والفضيلة ، بأن تذكروهن بحسن عاقبة الطاعة للروح ، وسوء عاقبة الشوز والعصية ، وبأن تسوقواهن من تعاليم الإسلام وآدبه وتوجيهاته ، مما من شأنه أن يشفي الصدور ، ويهدي النفوس إلى الخير فإن لم ينفع معهن الوعظ فهاجروهن واتركوهن منفردات في مكان النوم ، فإن ذلك له أثره النصي في نفوس آخرائهن من النساء ، فإن لم ينفع معهن الوعظ والحر ، فاضربوهن ضربا غير شديد ولا مشين ، بحيث لا يكسر عظامها ، ولا يشوه جارية

أخرج لإمام مسلم في صحيحه عن حارس عبدالله ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في حجة الوداع : « واتقوا الله في النساء ، فإنهن أعوان عدنكم - أي أسيرات عندكم - ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحد ، تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح - أي غير شديد وأخرج أبو داود في سننه عن معاوية بن حيدة القشيري ، أنه قال : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تحجر إلا في البيت - أي في مكان النوم -

وجمهور العلماء على أن من الواجب على الروح ، أن يسلك في معالخته لروحته تلك الأنواع الثلاثة على الترتيب بأن يبدأ بالوعظ ، ثم بالحر ، ثم بالضرب ، لأن الله تعالى قد أمر بذلك ، ولأنه تعالى قد رتب هذه العقوبات بتلك الطريقة الحكيمة التي تبدأ بالعقوبة الخفيفة ، ثم تندرج إلى العقوبة الشديدة ، ثم الأكثر شدة

ثم يبين سبحانه ما يجب على الرجال نحو النساء إذا ما أطعنهم وترك الشوز والعصيان فقال : « فإن أطعكم فلا تنفوا عليهن سبيلا ، إن الله كان عليا كبيرا » .

أي . فإن رحمن عن المعصية إلى الطاعة ، ويقدر لما أوجب الله عليهن نحوكم - أيها الرجال - فاحذروا التعدي عليهن بأي نوع من أنواع التعدي والظلم ، لأن قدرة الله تعالى عليكم ، عظم من قدرتكم على أرواحكم ، وسيعاقبكم بالعقوبة الرادعة إذا ما تجاوزتم حدود الحق معهن فأنت ترى أن



في ضوء السنة النبوية

- قبل .. الاسلام !!
- الأسرة .. دعامة المجتمع ..
- الزواج بين التحليل .. والتحرير
- البيت الزوجي .. له أسرار !!
- دروس .. من حياة أمهات المؤمنين

يكتب هذا الفصل

د. أحمد عمر هاشم



❖ قبل .. الإسلام ❖

لم تكن للمرأة مكانة تذكر قبل الإسلام ، بل كانت كما مهملا ، لا ينظر إليها إلا لتدبير عمل سرلي أو لندوام النسل البشري ، بل كانت عند بعض الطوائف في مرتبة الخادم ، بل إن البعض نظر إليها كالسلعة تباع ونشتري وما كانت بعض الطوائف تورث المرأة إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البين ، وكانوا قبل الإسلام ، وعند الرومان يعتبرون المرأة متاعا يملكه الرجل ، وسلعة له الحق في التصرف فيها كما يريد ، ويملك من أمرها كل شيء ، حتى حق الحياة وكانت بعض قبائل العرب تعتبر ميلاد الست ، حالاً للحر والحرى والعار .

وكان ولي المرأة في الجاهلية يأخذ مهرها ولا يعطيها منه شيئا وما إن جاء الإسلام ، وأشرقت تعاليمه العادلة السمحة ، على يدى نبي الرحمة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا وجاء بكتاب مبين هو الفصل ليس بالهرل .

فأتى على هذه العادات الساطلة ، والصلالات الجاهلة من القواعد ، وهدم التقاليد الطائفة ، فعلى أولئك الذين يحزنون بميلاد المرأة أو يحاولون وأدها وقتلها وهي حية ، وسأهم عن ذلك قال الله تعالى « وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ به أيمسه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » وقال جل شأنه . « وإذا المودة سثلت بأي ذنب قتلت » .

ولقد جاء الإسلام فأعطى المرأة حقها في الحياة وجعل العدوان عليها عدوا على نفس بغير حق محرم وأدها أو قتلها كما حرم أمتها كرامتها ، وجعلها إنسانا فاعلا في المجتمع لها كرامتها ومكانتها ، وبها أهميتها ورسالتها في الحياة أعطى الإسلام المرأة حقها في الحياة وحقها في الميراث وفي المهر وفي النفقة وفي المسكن والمطعم وأعطاهما سائر الحقوق كحق لتعلم ، وحق التملك وحق البيع والشراء والعمل بضوابط تحفظ لها كرامتها وعفافها دون امتهان أو شطط وفي رحاب الإسلام عاشت المرأة حياة كريمة محترمة هي الأم والروضة والبيت والأخت ، والعمة والحالة والجدة .

وقد فصلت السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام حقوق المرأة وواجباتها ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حق ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسوا إليهن في كسوتهم وطعامهن » .

وعن معاوية بن حيدة - رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله « ما حق زوجة أحداً عليه ؟ » قال : « أن تطعمها ! إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت » .

وقررت السنة السوية حق المرأة في التعلم بل جعل التعلم فريضة فقال صوات الله وسلامه عليه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، والمراد بالمسلم : الرجل والمرأة ؛ ولذا كانت أمهات المؤمنين مرجعاً في العلم وآيات الله والحكمة .

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

وقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن أفضل النفقة ، ما ينمته الإنسان على أهله ، وزوجه وأبائه . . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقية ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وحيدركم خيركم لنسائهم » وإذا كان الإسلام قد شرع للمرأة هذه الحقوق ، وأعطاهم مكانة عظيمة ، فإنه أمر الزوجة بطاعة زوجها .

ومن الوصايا الحكيمة للمرأة ، وصية أمانة بنت الحارث التي وصت بها ابنتها في ليلة عرسها حيث قالت : « أي نية ؛ إنه لو استعمت المرأة بعنى أبيها وشدة حاجتها إليها لكنت أغنى الناس عن الزوج ولكن للرجال خلق النساء ، كما هن خلق الرجال » .

« أى بنية » إنك قد فارقت الهواء الذى منه درجت إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، فأصبح يملكه عليك ملكا - بكسر اللام - فكوى له أمة يكن لك عبدا ، واحفظى عنى خلا لا عشرا تكن بك دركا ودكرا .

« فأم الأولى والثانية » فالعاشرة له بالقناعة وحسن السمع والطاعة فإن القناعة راحة القلب وحسن السمع والطاعة راحة رافة الرب

« وأما الثالثة والرابعة » فلا تقع عيانه منك على قبيح ، ولا يشم أبعه منك إلا طبيب الروح ، واعلمى أى بية أن اناء أطيب الطيب المفقود ، وإن لكحل أحسن لحسن الموجود .

« وأما الخامسة والسادسة » فالتعهد بوقت طعامه ، واهدوء عند مآممه ، فإن حرارة الجوع مبهية ، وتنعيص النوم معصية .

« وأما السابعة والثامنة » فالاحتفاظ بآماله والرعاية على حشمه وعباله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التدبير ، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التمييز .

« وأما التاسعة والعاشرة » فلا نمشى له سرا ، ولا نعصى له أمرا ، فهى إن أشيت سره لم تأمى غدره ، وإن عصيت أمره أوعرت صدره ونقى الفرح لسهل إن كان ترحا ، والإكتئاب عنده إذ كان فرحا ، فإن الأولى من التفصير ، والثانية من التدبير

« وأعلمى أنك لن تصلى إلى ذلك مه حتى تؤثرى هواه على هواك ورضاه على رضاك ، فبما أحسنت وكرهت »

والعلم .. من الحقوق الأساسية

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقاً كثيرة بعد أن كانت مهضومة الحق في الجاهلية . لقد منحها الإسلام حقها في الميراث وحقها في التملك وحقها في الصداق وجعل من أهلنها في التعاقد وفي إحراء العقود من بيع أو شراء أو رهن أو هبة أو وصية .. كما سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في شئون المسؤولية والإحراء والثوب والعقاب بمعنى أن المرأة التى تعمل صالحا وهى مؤمنة لها براؤها في الدين وفى لأخرة كما قال الله جل شأنه من عمل صالح ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حية طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

ويقول سبحانه . « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن »
وسوى الإسلام بينهما في الحدود وفي سائر أنواع الحراء والعقوبات ففي حد الربا
وتطبيقه على الرجال والنساء يقول الله تعالى . « الراية ولراى فاحلدوا كل
واحد منهما مائة جندة » وفي حد السرقة . يأمر الإسلام بتطبيق قطع اليد
للسارق رجلا كان أو امرأة . « ولسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما حراء بما كسا
نكالا من الله » .

وكما سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في ذلك فإنه أعطى المرأة حق التعلم
والثقافة وأباح لها أن تتعلم لتعلم ولعلم والأدب بل إنه يوجب عليها ما يتصل بأمور
الدين لتقف على معرفة الأحكام ولتحسن القيام بالعبادات وسائر الوظائف في
هذه الحياة وقد جاء في الحديث « طلب العلم مريضة على كل مسلم »
وكلمة مسلم تشمل الرجل والمرأة كما يقول العلماء ويقول أبو قلابة . « أى
رجل أعظم أحر من رجل يتفق على عيال صغار يعفهم الله أو ينفعهم الله به
ويغنيهم وفي هذا ما يشير إلى أهمية أعداد النساء بما ينفعهم دكورا كانوا أم إناثا
ولم يفرق الإسلام فيما منحه من حق « لتعلم » للمرأة المسلمة بين أن تكون حرة
أو أمة بل أن توجيهات الإسلام فيها يتصل بشأن الأمة كانت أكيدة . عن أبي
بردة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إيا رجل كانت عنده وليدة
- أى جارية - فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها . ثم اعتقها وتزوجها
فله أجران » .

وبهذا رغب الإسلام في تعليم المرأة وحث عليه ووضح ماله من أثر هام ومشوة
كريمة .

وأن العلم من الحقوق الأساسية التي لا عى للحياة عنها بحال من الأحوال
فإن شئون المجتمعات الإنسانية لا تنهض على المأكول والمشرب والملبس والمسكن
فحسب ، فتلك حقوق مادية ، أب تلك الحقوق المعنوية والروحية . فلها أهميتها
في تسيير الحياة وتنظيم تلك الحقوق المادية الأخرى ولا يتأتى ذلك إلا بتنظيم
القلب والروح وتهذيب العقل وتعليمه ولقد طبق رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - مبدأ تعليم المرأة وتنقيتها بما كان يصنعه مع المسلمات من تخصيص يوم
لهن يجلس هن فيه ومن تعليم أمهات المؤمنين

روى البلاذري في «فتوح البلدان» أن الشفاء العدوية وهي سيدة من بني عدى رهط عمر بن الخطاب كانت كاتبة في الجاهلية وكانت تعلم الفتيات وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة وكتابتها فبين رواجها بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا تزوجها عليه الصلاة والسلام طلب إلى الشفاء العدوية أن تتابع تثقيفها ، وأن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصول الكتابة . والعديد من الشواهد يدل على تعلم النساء وظهرهن في علوم لقرآن والحديث والفقه واللغة منذ عصر بني أمية

وذكر ابن خلكان أن السيدة نعيمة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان هـ عصر مجلس علم حضره لإمام الشافعي نفسه ، وسمع عليها فيه الحديث

وروى ابن المقري في كتابه «نفع طبیب» أنه كان لابن المطرف البلغوى جارية أخذت عن مولاها لسحو واللغة ، وكنها فاقته في ذلك وبرعت عن الأحص في العروض حتى سميت «بالعروضية» وأما كاتبة تحفظ عن طهر قبت كتاب «الكامل» للمبرد و«الأصلي» لابن علي الفخالي

وإذا تقرر في الإسلام للمرأة هذا الحق فإنه ينبغي أن ينظر إلى قضية تعليم المرأة نظرة عادلة ومثمرة بحيث لا يطغى تعليمها وحققها فيه وما أناحه الإسلام لها لا يطغى هذا على دورها كزوجة وعلى دورها كأم فهذا هو دورها الأصيل وبين الأمومة والروحانية تكون رسالة المرأة في الحياة وما تعليمها الذي منحه الإسلام لها كحق إلا مكملًا وهاديا لدورها ورسالتها .

ومن ناحية أخرى لا يكون قيام واجب على حساب آخر من واجبات الأمومة والروحانية .

وهكذا كان لنساء في صدر الإسلام فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول «كنت أخدم الزبير «زوجها» بخدمة البيت كله وكنت أسوس مرسه وأعلمه واحتش به وكنت أحرر لدلو وأمسق الماء وأحمل النوى على رأسى من أرض له على ثلثي فرسخ» .

وفي الحديث . « . والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها » وإذا كان الإسلام قد منح المرأة تلك الحقوق السابقة فإنه قد أكد واجباتها كزوجة وواجباتها كأم وسائر ما يجب أن تقوم به من تربية أبنائها كما ينبغي أن

نسه في حكمة الإسلام العالية في التفريق بين المرأة والرجل في بعض الأمور والحقوق وأن ذلك من صميم العدالة الإلهية انساقا مع طبيعة كل من الحنسين وخصائصه وتكوينه ودوره في الحياة وذلك كحقوقه في الميراث على النصف من نصيب الرجل وعبر ذلك مما قررته الشريعة الإسلامية

نموذج .. من جهادها

لقد قامت المرأة المسلمة في ميادين الجهاد بما شرعه الإسلام لها من القيام ببعض الأعمال الهامة التي لا تقل أثرا عن نتيجة القتال في سبيل الله . كانت المرأة المسلمة تسقى الماء وتداوى الجرحى وتناول السهام وتثير الحمية وتقوم بخدمة الجرحى وتقرضهم .

وهذا نموذج من نماذج جهادها يقول أنس بن مالك لما كان يوم أحد : أهرم ناس من الناس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو طلحة بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - مجتوب عليه « أي بقيه سلاح الكفار » بما معه من ترس بحجفة « وهي الترس » وكان أبو طلحة رجلا راميا شديدا للزعم وكثير يومئذ قوسين أو ثلاثا . قال فكان الرجل يمر معه الحربة من البهل وهي الكتانة التي تجعل فيها السهام فيقول إنترها لأبي طلحة قال : ويشرف بي الله - صلى الله عليه وسلم - يطر إلى القوم فيقول أبو طلحة . يا بني الله بأبي أنت وأمي لا تشرف لا يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون محرك

قال . لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لثمرتان . تفلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفراهم ، ثم ترجعان فتعلاهما ثم تهبطان تفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة أما مرتين وأما ثلاثة من العباس .

فلم يحرم الإسلام النساء من كرامة الجهاد ومثوبته ولم يمنعهن أن يشاركن بسقى الماء ومداواة الجرحى .

وهناك جهاد بالمال لإعداد العدة وتجهيز الجيوش وهناك جهاد باللسان لإثارة الحمية ودفع الشبه ورد الإشاعات والدعوة إلى الجهاد وهذه الأنواع يؤدي كل من الرجل والمرأة فيها الرسالة الثلاثية بحاله ويقوم حيالها بما يمكنه من عمل .

أما الجهاد بالسلاح والاشتراك في ضرب العدو في الميدان فهذا لا يتفق مع طبيعة المرأة وتكوينها ولذا لم يفرضه الإسلام عليها .
ولئن شاركت بعض النساء في الجهاد فهذا تطوع منهن وليس مفروضاً كما هو الحال بالنسبة للرجال حيث فرض عليهم .
أما ما يمكن للمرأة أن تقوم به في الجهاد فهو إحياء الحمية والقيام بالتمريض وسقى الماء وكثير من المهام التي يحتاج إليها الجيش فتوفر على الجيش قيام بعض الرجال بهذا العمل ليؤدي الرجال مهمة القتال على أكمل وجه .
وواضح أن هذا الاشتراك من المرأة حيث يكون الأمر في حاجة إليها وبشرط عدم الإحتلاط والفتنة .



❖ الأسرة دعامة المجتمع ❖

إن إقامة المجتمع الفاضل القوي لا تكون من السطح الخارجي دون إرساء دعائم البناء وإقامة الأساس الذي يُبنى عليه المجتمع والأسرة هي دعامة المجتمع وهي الخلية الأولى الحية التي يتكون منها أفرادها وتتلاقى فيها خلاياه ، والأسرة القائمة على أسس سليمة الصادرة من قيم فاضلة القائمة برسالتها خير قيام .

هي تلك الأسرة التي يرى الأب فيها أنه راعى البيت والقائم على أمره فيه . وترى الأم أنها مسئولة عن إدارة شؤون البيت والأبناء ، وعن عرس العضائل الحميدة في نفوس أسائها وتربيتهم لتربية السليمة وتشبثهم الشئمة المستقيمة ويرى لأباء فيها ما يسقى عليهم من القيام بواجباتهم والنهوض بالحياة حيرا عن الجادة وطموحا للمستقبل الزاهر والحياة السعيدة المقلدة عليهم وهم في أمس نفسي ، واستقرار أسرى وهذى من الإسلام يؤمنون به ويسعدون بنعاليه ، ما حين يرى خلايا المجتمع مكونة هذه المثانة وأن وحداته هي تلك الأسرة ومثيلاتها من الأسر . وهكذا ، فهو بلاشك حجمع فاضل قوى له كرامته ومهاتته .

ولما كان للأسرة - في الإسلام - هذه الأهمية ، وكانت النظرة الحقيقية إليها على أنها أساس المجتمع فقد عني الإسلام عناية خاصة بشؤون الأسرة وبكل ما يتعلق بها من مبادئ تنهض على هداها كما عني بما يتصل بها من حقوق وواجبات ، وبما لها وما عليها

ومن المعلوم أن السنة السوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مبيته بقرآن الكريم ومفصلة لمحملة وموصحة ببهمة وأن ما أجمله القرآن فصلته أسسة من أحكام العبادات وغيرها فقد ذكرت في القرآن الكريم على طريق الإجمال ، فوضّحها وفصلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بقوله وفعله

أما فيما يتصل بشأن الأسرة وما يتعلق بها من حقوق وواجبات وما يتصل بها من أحكام فقد ذكرها الله سبحانه وتعالى مفصلة في القرآن الكريم ،

لله الأولى التي يبدأ فيها التنكير في لروح قال الله تعالى : « ولا >

عليكم فيها عرصتم به من حطنة النساء أو أكنتم في أنفسكم عدم الله انكم
مذكروهم ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعرموا
عفة الكناح حتى يبلغ الكتاب أجله وأعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم
فاحذروه وأعلموا أن الله غفور حلیم .

فعى الإسلام بتوصیح كن ذلك في القرآن من أول لحظة تكوين الزواج
وإشائه إلى أن يتصرف كل منها بالموت أو بالطلاق وما يتصل بكل الأحوال من
أحكام ، ولس كثير ما وضحته السنة وبيته بالنسبة لما ورد في القرآن الكريم من
تفصيل أحكام الأسرة . وكان هذا من حكمة الله سبحانه وتعالى عدية بشأن
الأسرة لأهميتها في الحياة ولأها الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع وحتى
لا تكون أحكامها بعد ذلك عرصة للأهواء والانحراف بها بجمة أو يسرة ومحاولة
التقصير في حق من الحقوق أو الإهمال في واجب من الواجبات .

يقول الأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة رحمه الله وإن كانت عدية الإسلام
بإعدادات جعلت أحكامها عملية يتولى النبي - صلى الله عليه وسلم - تفصيلها
لترى النفوس عليها بالدربة والتهذيب لا بمجرد التلقين ، فعناية الإسلام بالأسرة
كدت بالنص الكامل على نظامها ، لكيلا يصرف الناس بأهوائهم عنها ولكيلا
يسكروا تطبيقها ويجعلوا لعقولهم سبيلا للتحكم في أحوالها ونظامها ولأنها متصلة
بالرضا والمضب بين الزوجين والأقارب فكان لابد من ميران مقرر ثات بحكم
الأهواء ويصح الأمور في مواضعها . وهكذا تنصح لنا عناية الإسلام بحقوق
الأسرة وواجباتها وبكل ما لها وما عليها .

لها طابعها الخاص وشخصيتها المستقلة

وللأسرة المسلمة طابعها الخاص الذي تتميز به عن غيرها ولها سلوكها الذي
يسبىء عن تمسكها بديها وتنطيطها لأوامره وسيرها على هداة .
وتتضح ملامح شخصيتها المستقلة من سلوكها ومن آدابها وأحلافها الى
تخلق بها ، فهي متجلمة بالهمة والوقار والحشمة والخلق ومستقيمة على طريق
العقيدة الصحيحة لتي تؤمن بها ، وهي بشخصيتها المتميزة لا تحيا تابعة لغيرها
ولا ظلا لسواها من الأسر الأخرى شرقية كانت أو عربية . إنها لا تقلد غيرها
تقليدا أعمى ولكنها تسبح نهج الحق في سائها وفي سلوكها

ومن آداب الأسرة المسلمة أنها تربي أفرادها تربية إسلامية صحيحة وتعمل الأسرة - أباً وأم - جاهدين مع الأساء على إقامة شعائر الإسلام وتطبيق آدابه وأخلاقه ، ومتعودين جميعاً على فعل الخير ولتساق إلى صنائع المعروف . ويقوم الآباء في الأسر المسلمة بتربية الأبناء تربية سليمة بعيدة عن الكذب والخيانة بعيدة عن التقاليد الوافدة لئلا تتنافى مع منفع الدين وآدابه ، وأخلاقه وإذا كان على الوالدين بالسيرة للأبناء تلك الحقوق التي تتمثل في حسن تربيتهم وتشجيتهم وحسن مراعاتهم ، وتوفير كل أسباب الراحة والتكوين لهم ، فإن على الأساء حقراً كذلك بالسيرة للوالدين وهذه الحقوق تتمثل في الرحمة والإحسان إليهما وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بعبادته سبحانه إذ يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » .

وللأسرة علاقات كثيرة بغيرها من الأسر الأخرى ، وأولى هذه العلاقات علاقة أسر الزوجين فبمس الزواج علاقة رجل بامرأة فحسب ، ولكنه إلى جوار ذلك علاقة وثيقة بين الأسرتين وقد أعطى الإسلام ولي المرأة حقوقه المشروعة حفاظاً على المرأة وحفاظاً على الأسرة

فما قرره الإسلام من الولاية المستقيمة الجادة والإشراف على المرأة وتوجيهها واحتتير الحياة الفاضلة لها كل هذا يتمثل في الرعاية الحكيمة الرحيمة التي تتحقق بها مصلحة المرأة ومصلحة الأسرة

وقال الخافظ ابن كثير عند الكلام على قول الله سبحانه وتعالى « الرجال قوامون على النساء » قال يعنى أمراء عليهن أى تطيعه فيها أمرها الله به من طاعته ، وطاعته أن تكون حسنة وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله وكذا قال مقاتل والسدى والضحاك .

ومن هنا تتضح لنا نظرة السلف العميقة في علاقة الأسرتين أن على المرأة أن تكون محسنة لأهل زوجها حتى تظل رابطة المصاهرة بنية صافية تشرق بالود والحب والتعاون وهذا أمر له أهمية الكيرة وله صداه على علاقة الروح بامرأته ، ويمدى هذه الرابطة من الروجة أو من الأسرة الصغيرة تقوى ربطة الأسرتين بينهما جميعاً .

ولا تقتصر علاقة الأسرة بغيرها على الأسرة التي ترتبط بها برباط الزوج والمصاهرة وإنما هناك علاقات أخرى شرعها الإسلام وأحاطها بسياج مبيح من تعاليم المحكمة السديدة فهناك علاقة الأسرة بجيرانها وهي علاقة يبيحها الإسلام في الحدود المشروعة ولقد دعا الإسلام النساء المسلمات إلى قول ما يقدم إليهن منهن كان قليلا وحث على التهدي فقال صلى الله عليه وسلم « يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » . ومعناه عظم قليل اللحم وهذا فيه ريادة تأكيد على الروبط الأسرية بين الأسرتين

وقد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن رجلا قال له يا رسول الله : أن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها ، غير أنها تؤدى جيرانها فقال : هي في النار

ثم قال . يا رسول الله فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها تنصدق بالأثوار من الأقط - أى قطع - لجس - ولا تؤدى جيرانها ؟ قال هي في الجنة

الأسرة تقسح .. وتمتد

استهدف الإسلام لساء الأسرة قوّة وإتساعاً لأنها المجتمع الصغير بل الأمة الصغيرة مما كان المجتمع إلا مجموعة من الأسر ، وما كانت الأمة إلا مجموعة من المجتمعات فالعناية بالأسرة عناية بالمجتمع وعناية بالأمة بأسرها إذ أن الأسرة هي البنية الأولى والأساس الأصين في بناء الأفراد والجماعات والأمم والشعوب وفي اتساع الأسرة تقوية لها ، ودعم للمجتمع والأمة فهي بمثابة الرائد القوى للحياة الإنسانية .

ونقوى الأسرة ويشد أركانها بتقوية روابطها وثبات أعضائها وكما إتسعت الأسرة وكثر أعضاؤها كانت أكثر قوة ، وأعظم نصيب وإذا القينا نظرة إلى ما شرعه الإسلام من وسائل تكوين الأسرة لرأينا إنه يدعو إلى اتساعها ونشأها وريادة أعضائها عن طريق السبب والمصاهرة .

قال الله تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ركان ربك قديرا » .

ومن المحرمات التي ذكرها الله تعالى . يتصح سبب قوى من أسباب اتساع الأسرة ، هذا بالإضافة إلى ما تشتمل عليه مقاصد التحريم من حكم أخرى

كالوقاية من الشحنة والخصومات لأصحاب القرابة جدا ، فصنتهم بالأسرة موحدة وهم ليسوا في حاجة إلى ربط بينها

نعم قد لا تكون لقرابة قريبة جدا أو قد توشك على الافتراق فيتحقق بالزواج سبب قرب ومودة كإساءة العم وأساءة الخال أم من كانوا أقرب منهم فصلتهم قوية ولهذا ولغيره من الأسباب الأخرى كانت المحرمات المذكورة في قول الله تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمياتكم وحالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائتكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وإن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان عفوا رحيم »

ويقول الأمتد عباس محمود العقاد رحمه الله : « وتتحقق سعة الأسرة وامتدادها ووثامها بنظامين من النظم التي شرعها لها الإسلام وهما نظام المحرم في الزواج ونظام الميراث » .

فالإسلام يحرم أزواج الأقربين ولا يبيع من دوى القرابة إلا من أوشكوا أن يكونوا غرض فالزواج يجمع منهم في الأسرة من أوشكوا أن يتعرفوا كأبناء العمومة والخوالة .

ثم يقول : « والمقاصد من هذا التحريم متنوعة لا يحصيها في هذا المقام أجلها وأجدها توسعة الأسرة ووقيتها من شواجر الخصومة والبعضاء وأن يتحقق بالزواج من أسباب المودة والسبب ما لم يتحقق بالقرابة فيرجع إلى الأسرة من أوشك أن ينفصل عنها ويحرم الزواج بذوى القرابة الحميمة التي لا حاجة بها إلى توثيق النسب والمصاهرة » .

وتأكيدا لطلب اتساع الأسرة وكثرة أعدادها وزيادة قوتها رغب الإسلام في اختيار الولود الودود لأنها التي يمكن أن يحصل بها مقاصد الزواج ويمكن معرفة ذلك بالنسبة للذكر بمعرفة أقاربها .

وقد خطب رجل امرأة عقيما فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن حطت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد فنهاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال « تزوجوا الودود الولود فإن مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »

وقد أنكر الإسلام أي تصرف فيه تصييق لإبعاد الأسرة كالعروف عن الروح مثلًا ، حتى ولو كان انصرافا للعاده لأن مثل هذا التصرف يتناق مع روح الحبيبة السمحة ، ولأن في الزواج إعفاف للنفس وتكثيرا للنسل وتحقيقا لحكمة الله تعالى فيه

وعن أس أن نرا من أصحاب لبي - صلى الله عليه وسلم - سألوا أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عمله في السر فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أدم على فرش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : « ما بال أنوام قالوا كذا وكذا لكي أصلي وأدم وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رعب عن سنتي فليس مني » .

ولقد عالج الإسلام كل ما يتصل بتكوين الأسرة من طواهر إد على صوئها يبتلى الرجل الى اختيار شريكة حياته ورة بيته ، وبين الإسلام أن للمخاطب أن ينظر إلى من يريد خطبتها ولم يبح له أكثر من هذا ، وأما ما يحدث الآن في بعض المجتمعات ومن تهاون بعض الأسر في إباحة اختلاط لخطيب بخطيبته والخلوة بها فحرام لأن المرأة محرمة عليه قبل العقد . وقد نبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن المغلاة في المهور قال - صلى الله عليه وسلم - « حير النساء أحسن وحوها ، وأرحصهن مهورا » . والمغلاة في المهور مغول هدام يقصى عن رغبات الكثير من أهل العفة الراغبين في الزواج وهو في نفس الوقت دعوى باطنة ، تساعد على صياح قسط كبير من أعمار الشباب دون تحقيق سنة الإسلام بالزواج ، بل قد تكون سببا من أسباب انتشار الرذيلة والموصى الأخلاقية ، التي تهدد المجتمع بالتصدع والإنهيار ولا مبرر لها إلا تفاخر بعض الأسر في تكوين الأثاث وأغلى الرياش مباهة وظهوراً وقد يدعو الأمر إلى أن تستدين بعض الأسر لفقرة . وليس معنى هذا أن الإسلام يدعو إلى نقص حق المرأة في الصداق أو تحريم كثرة المهر ؟ لا ، فإن الإسلام إنما يكره تلك المغلاة التي حاذت عن الحجة .

أخرج عبد الرزاق من طريق عبد الرحمن السلمى قال عمر : لا تعالوا في مهور النساء فقالت امرأة : ليس ذلك لك يا عمر ، إن الله يقول : « وآتيم أحداهن قبطارا » من ذهب قال وكذلك هي امرأة ابن مسعود فقال عمر امرأة حاصمت عمر فحصمته .

وأحرقه لربير بن بكار من وجه آخر فقال عمر امرأة أصابت ورجل أخطأ
ولقد دعا الإسلام إلى الرواح وحث عليه ورغب فيه كل من كان مستطيعا
قدرا عليه ، وفي الزواج عصمة للشباب من الزلل والخطيئة ، ثم هو إلى جانب
هذا فيه المودة والسكن وراحته والسعادة والطمأنينة للأسرة والأمان والاستقرار
للبيت الزوجي .

ولقد أرشد الله تعالى العاشرين عن مؤن الكاح إلى العفة ووعدهم بعد ذلك
إن عَفُوا أَنفسهم أن يغيبهم من فضله ، لأن فضله أولى بأهل العفة الصالحين
قال الله تعالى : « وليستغف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغيبهم الله من
فضله »

وأما إذا لم يستطع الشاب الرواح وعجز عن مؤن الكاح فعليه بالصوم فهو
أهم وسائل الاستعفاف لأنه يكسر الشهوة ويكف عن انتهاك الحرمات ،
وبالصيام يتعود الإنسان على الفصائل والبعد عن الرذائل

وبما تحذر الإشارة إليه أن القدرة على الرواح ومثوبته أمر مسمى . وهو في
الغالب الأعم ميسور ، وليس المراد به كثرة العرض والمال والعقار حتى لا يتدبر
كثير من الشباب أو الأكثر من أهل الفتاة بالرغبة في كثرة المال والثراء .
ويرأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - ممن كان مستطيعا للرواح قادرا على
مؤنه ثم يعرف عنه ويتخلى عن سنة ربه وشرعه ففي الحديث : « فم رعب عن
سنتي فليس مني » ويقول صلوات الله وسلامه عليه في شأن من كان موسرا
مستطيعا للزواج ولم يتزوج : « من كان موسرا فلم يكح فليس مني » .

وما ذلك إلا لأن التارك للزواج تارك للعمل بكتاب الله ومنه رسوله - صلى
الله عليه وسلم - إذ ليس في الإسلام - أبدا - ترك الرواح وفي الحديث
« لا ضرورة في الإسلام » والضرورة الذي لم يتزوج والذي لم يحج .

ويُعي الإسلام بتربية المرأة وتعليمها وتهذيبها لتقوم برسالتها في الحياة حريصا
ولتكون أما فاضلة تنشئ جيلا فاضلا ولا يترك الإسلام شأن المرأة دون أن
يفصل ويوضح شأن بعض النساء من الجوارى وأن هن في الإسلام نكرا وعناية
فائقة وأن الإسلام نظر إلى شأن الجوارى نظرة إنسانية حانية تتسم بالعطف
والحنان والشفقة بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ثلاثة يؤتون أجورهم
مرتبن عند أتى حق الله وحق ماله فذلك يؤن أحده مرتين . ورجل كانت عنده

جارية وضيئة فادبها فأحسن أدبها ثم اعتقها ثم تزوجها يستغنى بذلك وجه الله
فذلك يؤتى أجره مرتين ورجل من بالكتاب الأول ثم جاءه الكتاب الآخر فأمس
به فذلك يؤتى أجره مرتين »



❖ الزواج بين التحليل .. والتحرير ❖

وضح القرآن الكريم ، نظم العلاقات الزوجية ، وبين الحلال والحرام ، حتى يكون الرباط الأسرى موثقاً وأكيداً ومحترماً ومصوناً من كل دس وهوى ، نقياً من أية شذوثة من الشوائب .

وبين الله تعالى بعض ما كان معمولاً به في اذهلية فجاء الإسلام فقصى عليه وبقي مناح الأسرة من كل فساد ونحراف حتى تقوى أسس البيئة الأسرية من أول وهله قال الله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً » .

والمقت في قوله . « إنه كان فاحشة ومقتاً » انبعص فهو أمر كبير في نفسه ، ويزدى إلى مقت الابن أباه ، بعد أن يتزوج بامرأته فإن الغالب أن من تروح بامرأة يخض من كان زوجها قبله ..

وكما قال الحافظ ابن كثير : ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة لأهن أمهات لكوهن زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو كالأب ، بل حقه أعظم من حق الآباء بالاجماع ، بل حبه مقدم على حب الفرس صلوات الله وسلامه عليه .

ثم ذكر القرآن الكريم بعد ذلك المحرمات من النسب . ومن الرضاع والمحرمات بالصهر وذلك في قول الله سبحانه وتعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وإخوانكم وعمهاتكم وأخواتكم وحالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وإخوانكم من الرضاغة وأمهات سائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحالات أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً والمحصات من النساء إلا ما ملكتم إيمانكم »

وفيما رواه ابن أبي حاتم - بسنده - عن ابن عباس قال : « حرمت عليكم سبع نساء وسبع صهار » . وفراً : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وإخوانكم ... » الآية

ومن أنواع المحرمات المشركات من عبدة الأوثان قال الله تعالى
« ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وللعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك
يدعون إلى النار والله يدع إلى الجنة والمعصرة بإدبه ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون » .

ومن أنواع المحرمات كذلك : الغايا - وهن اللاتي يجاهرن بالفاحشة
ويتكسرن بها . قال الله تعالى . في تحريم هذا النوع : « الرى لا ينكح إلا رابية
أو مشركة والرابية لا تنكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين »
وأما بالنسبة لما أحله الله تعالى من النساء . فقد ذكره سبحانه بعد بيان
المحرمات

في قوله : « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن يبتعوا بأموالكم محصين غير
مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما
تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليها حكيما . ومن لم يستطع معكم طولا
أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله
أعلم بإيمانكم بعضهم من بعض فأنكحوهن بإذن أهلهن وأنوهن أجورهن
بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصر فإن أتى
بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن نختي العنت
مكم وأن تصروا خير لكم والله عفور رحيم » .

وفي أناحة الإسلام الزواج بالكتابات وهذا من تسامح الإسلام الذي لا مثيل
له ولكن لمسلمة أفصل ، والمسلمة ذات الدين والخلق أفصل من أية مسلمة
لا خلق لها ولا دين ، وفي الحديث . « فاطر بدات الدين تربت يداك » .
وفي شأن الكتابات قال سبحانه : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الدين
أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات
من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا اتيموهن أجورهن محصين غير مسافحين
ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من
الخاسرين »

والإسلام دائما وأبدا يوجه المسلمين إلى تخير الروجة من أطيب العاصر ، من
الحرائر المؤمنات - العفيفات - حماطا على صلاح الأسرة

وهذا الضلع .. الأعوج ١١

لكل فرد من أفراد الأسرة حقوق وعليه واجبات وقد نظم الإسلام العلاقات الأسرية تنظيماً دقيقاً محكماً ، وجعل لها من الضوابط ما تستقيم به حياتها وتنظم به في حياتها لإجتماعية .

وأول أفراد الأسرة وأولاهم بذلك إنما هما الزوجان ، إلهما الأصل الذي تصدر عنه علاقات الأنساء وتنطلق منه خطاهم في المجتمع

ولذا عني الإسلام بحقوق كل من الزوجين لجعل للرجل حقوقاً وعليه واجبات وجعل للمرأة حقوقاً وعليها واجبات ، فالعاه المشودة في الأسرة الإسلامية تتركز في حياة المودة والسكينة والهدوء والطمأنينة ، فسكن الروحة إلى زوجها ويسكن الزوج إلى زوجته وتشرق بينهما حياة ظليلة تكتشفها المودة والرحمة كما قال الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » إلهما الحياة الأمة التي لا تلاحقها المخاوف . الحياة المطمئنة التي لا تزعجها القلاقل . يعيش فيها الزوجان وكل منهما سنان للآخر يفي صاحبه الخنوع إلى الخطأ أو الانحراف ، ويقبه أن يدل ويطنى إن كلا منهما في أشد الحاجة إلى صاحبه . وهذا هو السر في التعبير القرآني والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى . « هو لباس لكم وأنتم لباس له »

وللروحة حقوقها المشرعة التي صانها الإسلام وحافظ عليها ودافع عنها وتلاحقت وصاياه بها لما لها من أهمية قصوى في حياة الأسرة . لها حقوقها من مهر ومأكل وملبس ومسكن ونفقة وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب الفقه الإسلامي تتوسع ، وحسبنا في هذه العجالة أن نشير إلى بعض وصايا الإسلام بشأن المرأة فيه الإسلام إلى صحتها وإلى أنها خلقت من صلع أعوج . وليس في وصف الإسلام لها بأنها خلقت من صلع أعوج ما يقصر من قيمتها . لقد كمل الإسلام حقوق المرأة في جميع مراحل حياتها وفي كل أدوار تكوين الأسرة ولا يقلل الوصف من قيمتها ولا يحط من منزلتها

ولذا نجد أن الحديث الشريف الذي ذكر وصف المرأة بالعوج قدم هذا الوصف تأكيد الوصية بالنساء وجعل وصفهم بالعوج كسب للوصية ليكون الاحتمال الأسرى والتعاطف والمودة ثم أردب الوصف كذلك بالوصية بالنساء

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت » ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من صلب أعوج وإن أعوج شيء في الصلع أعلاه ، إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج ستوصوا بالنساء خيراً » .

كما أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف في قوله تعالى : « وعاشروهم بالمعروف » وأشار إلى تعظيم حقوقهن في قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً عتيقاً » . وكان آخرها وصي به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثاً كان يتكلم بهن حتى تلجج لسانه وحفي كلامه جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فإهن عوان في أيديكم (يعني أسراء) احذرنوهن بأمانة الله واستحللن فروجهن بكلمة الله » ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرحم الناس بالنساء والأطفال وفي الحديث يقول أس رضي الله عنه كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرحم الناس بالنساء والصبيان .

وكان صنوات الله وسلامه عليه يريد على الاحتمال بالمداعة والمزح والملاعة تطيباً لقلوبهن حتى روى أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يسابق عائشة في العدو فسفته يوماً وسبقها في بعض الأيام فقال عليه الصلاة والسلام (هذه تتلك) . وقالت عائشة رضي الله عنها : « سمعت أصوات الناس من الحشمة وغيرهم وهم يدعون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتخين أن ترى لعبهم ؟ قالت : قلت . نعم فأرسل إليهم فجامعوا وقام رسول الله بين البابيين ، فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت دقي على يده وجعلوا يلعبون . وأنظر وجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : حسبك وأقول : اسكت مرتين أو ثلاثاً ثم قال : يا عائشة حسبك . فقلت : نعم فأشار إليهم فأنصرفوا » .

وجاء تأكيد الإسلام على حقوق الروح بصورة حاسمة واضحة عاية في التأكيد على وجوب طاعته فهي الحديث يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . « لأمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

ومعلوم أن السجود لا يكون إلا لله رب العالمين . ولكن الحديث يؤكد الوصية بحقوق الروح وطاعته وعدم إهمال حقه . بحال من الأحوال من قبل المرأة فقد تُعرض لها أسباب أو تحدّثها مغريات فتهمل في حقه أو تنصرف في طاعته وقد تتغير به الأيام وقد يتغير اليسر إلى عُسر وقد تتغير الصحة إلى مرض فأحداث الحياة كثيرة وتقلّبها متعددة لا تقع تحت حصر فهل تتعرض العلاقة الزوجية لهذه المؤثرات وهل تخصّص الطاعة لهذه الأسباب ؟ كلا فإن الوفاء خلق إسلامي كبير وكما يُطالب الرجل بحقوق المرأة فإن المرأة مُطالبَةٌ بحقوق الرجل .

وتسُدُّ تعاليم الإسلام كل الثغرات أمام تيارات العصب وعدم الرضا وغير ذلك من المؤثرات والأسباب التي تذهب بشيء من حقوق الروح لدرجة أن الوصية بتلك الحقوق تأتي صيغتها النهائية التي ليس بعدها وصية ولا تأكيد فوق ذلك .

فإن السجود وهو متبهي الخشوع والخصوع والطاعة لله تعالى . ولذلك كان الإنسان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد هذا السجود لو كان يصح - إفتراضاً وتمثيلاً - أن يأمر أحد به أخذاً لأمر المرأة به طاعة لزوجها . ثم يأتي التعليل وتوضيح السبب في هذا التأكيد . « من عظم حقه عليها » . فالحديث يؤكد الوصية كحق الزوج وطاعته ومن أهم حقوق الزوج محافظة المرأة على دينها وخلقتها ومحافظةها على شرفها وكرامتها .

ومحافظةها على مال زوجها وعدم مطالبتها بما وراء الحاجة واتباعها طريق الحلال وتذكيرها لزوجها بذلك . ولقد كان الرجل من السلف إذا أخرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته إياك وكسب الحرام . فلما نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار .

وهثم رجل من السلف بالسفر ففكره حبراه سمره فقالوا لزوجته لم ترصين بسمره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت . روجي منذ عرفتة أكثلاً وما عرفتة رزاقاً ، ولي رب رزاق ، يذهب الأكثال ويبقى الرزاق .

وهذا الموقف من سلفنا لا يعنى تقصير الرجل في حق بيته ، ولا إهماله القيم بما يجب عليه نحو أسرته من نفقة ، ولكنه يعنى مدى رضا المرأة وقباعتها وعلمها ومعرفتها بأن الرزق من عند الله وما زايى الأسرة إلا سبب مباشر للأكل من هذا الرزق الذي يسوقه الله .

ومن الواجبات على المرأة أن تحفظ مال زوجها ، وإذا أنفقت في غير إفساد كان لها أجرها على الإنفاق ولزوجها أجره بما كسب ، كما جاء في الحديث « إذا أنفقت امرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب » وفي الحديث « أي امرأة مانت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » ويُعد الإسلام رضا الزوج من أهم أسباب دخول المرأة الجنة ولكن ينبغي أن يفيد هذا الرضا حيث لا يتعارض مع أمور الدين فلا طاعة لمحدث في معصية الخالق وإنما المقصود برضا الزوج على المرأة هو حسن معاملتها وأدب والتزمها بمبادئ الإسلام التي قررها للحياة الزوجية لئلا تشرق بالمودة والوفاء والتماهم والإنسجام وتتجاوز فيها العواطف المخصصة إلى أجل المقاصد وأسمى الأهداف الكريمة .

عدل .. غير مستطاع !!

ونذ أباح الإسلام التعدد لحكم عالية ، كان التشريع الإسلامي أقوم وأحكم وأدق ما يكون فيها فمن الرجال من قد تكون امرأته غير منجبة ، أو بها مرض ويكون هو شديد الرغبة لتلبية حاجته في الحلال وقد يكثر النساء حتى يصبح عددهن أكثر من عدد الرجال لاسيما في أوقات الحروب . وعدل ذلك يكون التعدد حلا لمشاكل عديدة قد نطمو على سطح الحياة الزوجية والأخلاقية بعد ذلك .

ولكن الإسلام حين أباح التعدد أباحه في حدود واشترط له ما تسكن به حياة الأسرة وتطمئن فقد كان التعدد في أمم أخرى غير مقيد ولا محدد قبل الإسلام قد بلغ أكثر من أربع زوجات ولكن الإسلام حذره بحيث لا يريد العدد عن أربع ومن دخل الإسلام ومعه أكثر من أربع أمر بفراق ما راد عن العدد واختيار أربع فقط فعندما أسلم عيلان الثقفي ، وتحتة عشر نسوة قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - « احتر منهن أربعاً وفارق سائرهن »

ثم إن الإسلام إشتراط من يريد أن يتزوج بأكثر من امرأة أن يأس في نفسه القدرة على القيام بالعدل بين الزوجات العدل في السكن والملبس والمطعم والنفقة والمبيت وبحود ذلك ومن لم يأس في نفسه القدرة على العدل بين زوجاته

ليس له أن يعدد ؛ لأن الظلم حرام ، وتفريطه في الحقوق حرام لأن الله تعالى يقول : « فإن خستم ألا تعدلوا فواحدة » وحذر الإسلام من التفريط في حقوق الزوجات . ومن الظلم وأن عاقبة الظلم وعدم العدل أليمة ونهاية سيئة في الدنيا وفي الآخرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » . وفي رواية أخرى وشقه مائل رواه أصحاب السنن .

وكل أمر يستطيع أن يعدد الروح فيه بين سائته فلا يعدل فيه يدخل في نطاق هذا التحذير والتهديد الوارد في الحديث ..

وأما الأسر الذي لا يستطيع العدل فيه فإنه ممنوعه وذلك هو الميل القلبي . يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » . ورسول الله صلوات الله عليه وسلامه وهو القدوة كان يعدل بين نسائه غاية العدل ، وكان إذا أراد سفراً أقرع بينهن أي أخرى القرعة بين أمهات المؤمنين فأيتهن خرج سهمها سافر بها وما ذلك إلا للحفاظ على المشاعر والأحاسيس وصيانة للقلوب والنموس وعن عائشة رضي الله عنها قالت . كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقسم ويعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب » .

وحتى في مرضه صلوات الله وسلامه عليه فإنه لم يشأ أن يكون في بيت واحد أو عند واحدة من أمهات المؤمنين دون رصا الباقيات فنراه قد استأذنه أن يكون عند عائشة رضي الله عنها فإذن له صلى الله عليه وسلم ..

فمن عائشة رضي الله عنها قالت بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مرضه إلى سائته فاجتمعن فقال إني لا أستطيع أن أدور يسكن فإن رأيتم أن تأذن لي أن أكون عند عائشة فعلتن فإذن له

ونشور .. بعض الرجال !!

لشؤون الأسرة أهميتها الكبيرة في سائر الجوانب المتعددة وقد عني القرآن الكريم بها وحملت آياته البيات بما يوضح حقائقها ويهيء الطريق الصحيح

أمام المجتمع الإسلامي . لتحقيق العدل الإلهي فيما يتصل بسائر الحقوق والواجبات .

قال الله تعالى : « ويستمنونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب هن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما فعلوا من خير فإن الله كان به عليماً » .

وقد كان الناس يستفتون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في لساء . وما يتعلق بهن من ميراث . فإرد الله سبحانه وتعالى عن طلبهم هذا . وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم . ويخبرهم بأن الله بنفسه هو الذي سفتيهم : « قل الله يفتيكم فيهن » وذلك بما جاء في القرآن من أحكام الميراث كما أنه بفتيهم في شأن يتامى النساء . . حيث لم يعطوهن في الجاهلية حقوقهن ونفيت هذه الروايب في النعوس فسألوا عنها .

وقد كان أولياء اليتامى يرغبون عن نكاحهن إذا كن ذميات ويعصلوهن أن يتزوجن طمعا في الميراث ، وكذلك بالنسبة للصغار المستضعفين من الولدان فأمرهم الله تعالى بالعدل في المهر وفي الميراث . وإذا لم يحققوا العدل فإن الله عليهم بكل أفعالهم وتصرفاتهم وظلمهم فيجازيهم على ذلك .

وعن عائشة رضي الله عنها « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن » . . إلى قوله « وترغبون أن تنكحوهن » قالت عائشة هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ورارثها فأشركته في ماله حتى في العلق فيرغب أن ينكحها أي إله لا يريد زواجها للمامتة ويكره أن يزوجه رجلًا يشركه في ماله بما شركته فيعصلها فزلت الآية .

وتكشف لنا آيات القرآن الكريم عن ظاهرة الشوز في بعض أشكالها فإنها كما تكون في المرأة تكون في الرجل فما حكم من توفعت من زوجها شوزاً وخافت ترفعه عليها والتقصير فيها لبغصها أو الإعراض عنها بوجهه ؟ عن هذا يجيب القرآن الكريم في قول الله تعالى « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسوا وتيقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً »

إن القرآن الكريم يحيب على مثل ذلك بقوله « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، في القسم أو في النفقة مثلا : فترك الزوجة له شيئا رغبة في الاستمرار والبقاء هذا إذا كانت راضية بذلك وإلا فعل الزوج حينئذ أن يوفيهما حقها أو يفرقها

ويوضح الله تعالى . بأن الصلح أفضل الحلول وخير من الفرقة ومن الإعراض والبشور كما يكشف - القرآن - عما طبعت عنه النفس البشرية وما هو كامن في حبتها من شدة الحرص والشح « وأحضرت الأنفس الشح » ولكن ليس معنى هذا الوقوف عند حدود هذا الجانب المادي . ولا أن يكون التعامل باعتبار ذلك فحسب .

فهناك جانب آخر أسمى وأرقى إنه جانب الإحسان والتقوى الذي يمسك برمام الإنسان ويوقظ فيه الضمير الديني والإحساس بأن الله عليم بكل شيء خبير بكل ما يعمل « وإن تحسروا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » .

إذا نجش الرجل مشقة معاملة النفس ومصابرتها على ما يكره من روجته وأعطاهما حقها وعامدها بالحسنى فله عند الله العليم الخبير أوفر الجزاء .

ثم يضع الإسلام حقيقة واقعية أمام العين لا يستطيع الإنسان أن يكرها بحال من الأحوال وهي أن النفس ذات ميول فقد يميل الإنسان إلى إحدى زوجاته أكثر من الأخرى وبالتالي لا يستطيع أن يحقق مساواة بين نسائه من جميع الوجوه فإذا مال إلى إحدى زوجاته فلا يميل كل الميل في القسم والنفقة وغير ذلك مما يترتب عليه أن يترك الأخرى نشبه المتعلقة فلا هي أيم ولا هي ذات روح .

فعلى الزوج أن يقوم بالعدل والإحسان . والإصلاح في القسمة وألا يجوز أو يعن فإنه إن سوى في الحقوق والأمور المتعلقة بالقسمة والنفقة وغير ذلك مما هو ظاهر وواضح فإن الله يغفر له ما لا يملكه من الميل الذي في قلبه ويرحمه إذا سار على العدل والإحسان قال الله تعالى . « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذورها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيفا » .

أما عندما تستحكم الجفوة بين القلوب . فإن الإسلام لا يرضى لمعلقة الزوجية أن تتأجج بالهمور والكراهية . وبطل مجرد علاقة في الظاهر لا غير مبين

هي في الحقيقة انفصال وجفاء لا يُكره الإسلام أحد الزوجين على حبة لا تعلق
عندما تنفد كل وسائل التوفيق والإصلاح والمودة والرحمة . . أو الصبر
والإحسان عندما ينفد ذلك كله فإنه لا مفر من العراق وحديث يتولى الله
الأمور بحكمته وبما يراه أصح فهو بعد كلا منهما بأن يعيه من فصله . وإن
يتفرقا يعر الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما .

ثم تعقب آيات الله البينات على ما سبق من تقرير المبادئ الإلهية وما يتصل
بأحكام الأسرة وشؤونها مبينة أن الله بيده مقاليد كل شيء وهو المالك والحاكم
والمتصرف في كل ما يتصل بشئون السموات والأرض .

فجدير بعباده المخلوقين أن يتقوه . ويطيعوه . ويخافوا عذابه قال تعالى .
« والله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
وبياكم أن تقوا الله وإن تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله
غيا حميدا » . وهذا التعقيب الذي جاء بعد بيان ما يتصل بشئون الأسرة من
أحكام ومبادئ يدل على أهمية شئون الأسرة وما يتصل بها بحيث لا يصح
التهاون فيها ، أو التفريط في حق من حقوقها .



❖ البيت الزوجي .. له أسرار ❖

للعلاقة الزوجية حرمتها ومكانتها ، فهي علاقة سكنٍ ومودةٍ ورحمة ، فدائرة العلاقة الزوجية في رحابها وامتدادها تنشق منها معانٍ رفيعة رائدة فهي ليست محصورة في الجانب الحسي ، وعلاقة الحب ، بل إن وراءها المحافظة على بقاء النوع الإنساني والاستعفاف والترابط القوي بين كل من الزوجين وبين كل من الأسرتين . مما يعمل على إثراء التواصل ، وتسمية وشائج القرى والرحم وهذه الصلات ومالها من روابط وثيقة ، تترعرع في طلال المودة والرحمة التي أفاضها الله تعالى على تلك العلاقة الوثيقة . ولما كان للعلاقة الزوجية هذه الميزة ، كانت جدية بأن تحاط برعاية فائقة وعناية بالغة ، فكل من الزوجين ، ربة وستار للآخر وسكن ولباس كما قال الله سبحانه : « هو لباس لكم وأنتم لباس لمن » .

وعن ابن عباس وغيره في معاني هذه الآية « هو سكن لكم وأنتم سكن لمن » .

وقال الربيع عن أنس : « هو لحاف لكم وأنتم لحاف لمن » ولهذا الرباط المقدس حرمة التي يجب أن تصان وأن تحفظ وتستمر بحيث يضمن البيت الروحي عن كشف شيء منه ، بل يظل داخل حالة المودة والرحمة والمحافظة والرعاية . فالمرأة المسلمة الصالحة مطيعة لزوجها ، تحفظ في غيبتها نفسها وماله قال الله تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

وفيما رواه ابن جرير عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . « خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظت في نفسها ومالك » قال : ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » . وليس أمر المحافظة على هذا الجانب فحسب . بل ثمة جوانب أخرى يجب الوقوف عندها . فمن ذلك أسرار المآكل وغيره مما يكون عادة في البيت من

المأكهة وغيرها ، فإن كان الموجود قليلا ، فليكن الرضا وعدم السخط واشكوى ، وإن كان كثيرا ، فليكن الشكر لواسب النعمة ، وعدم التناهي بذلك والتحدث لاسيما إذا كان الجار فقيرا . فإن لم يعطه منه ، فلا أقل من أن يحتفظ بما عنده ولا يخرج بالمأكهة الأطفال ليعيظوا بها أطفال الفقراء ومن الخونب الهامة والحذيرة بالمحافظة عليها ما يحدث من الخلافات الروحية وهذا جانب له أهميته في وجوب نصيغ دائرة الخلاف ومحاولة علاجها بين الزوجين دون تسرب حبر منها للناس أو ارتفاع صوت أو ضياح وقد شرع الإسلام بمعالجة أحوال الشوز والخلاف ما يكمل الأمر السريع لبيت الزوجى وهو علاج يتم - فقط - بين الزوجين بحيث لا تتطير به الأسباب ولا تنكشف معه الأسرار ، وإنما يتم العلاج في سرية تامة وبقواعد دقيقة ومحكمة .

وأما عند توقع لخطر ، وحوف الشقاق ، وتعرض لبيت الزوجى لأسباب التصدع والانهدام ، وحدوث الفرقة ، وما يترتب عليها من تعرض الطفولة انبرثة إلى الضياع ، ففي هذا الموطر يكون نذارك المرقف وعلاجه على نحو آخر يحدثنا عنه القرآن الكريم في قول الله تعالى : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما حبرا »

وهنا يدرك الحكمة العالية في التعبير بقوله - حكما - فمن طبيعته ومن شأنه وشرطه أن يكون عادلا صالحا يحب للخير .

وعن ابن عباس - أمر الله عز وجل أن يبعثوا رجلا صالحا من أهل الرجل ورجلا مشه من أهل المرأة ، فيظربا أيها المسمى وفي تسميتهما - بالحكمين - ما يشير إلى أنهما يحكمان بالعدل ويتوحيان الصالح العام ، للزوجين وللأنشاء ، ويحرصان على خير البيت الزوجى ، ومن شأن - الحكم - أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه فلا يؤثر عليه الهوى ولا تؤثر عليه الانفعالات النفسية لأن رائده العدل والتوفيق بين القليين المتنافرين .

ولما - هنا - أن تساءل : هل هذان الحكمان قائمان من جهة لحاكم ؟ فيحكمان وإن لم يرص الزوجان ؟ أو أيهما وكيلا من جهة الزوجين ؟ يرى بعض العلماء أيهما وكيلا من جهة الزوجين ؟ كما قال الله سبحانه : « فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » وإن من شأن من هو من أهل الإنسان أن يكون حريصا

عن الأسرار ومحاولة دهنها ، وعدم التشهير بها ، ومن كان من أهل الإنسان كذلك فشأنه إنه مؤتمن على الأسرار ، وحريص على حب الخير والتوفيق والإصلاح .

إن الإسلام حرص على صيانة الأسرار وعدم تعرض أى الزوجين للحرش ، حين يكون الحكم أجيباً عنه فيحدث الحياء أو تعرض كرامة ومكانة أحدهما إلى الاهتزاز

وإذا انتقلنا إلى جانب آخر - غير هذا - من جوانب الأسرار الزوجية ، وهو جانب العلاقة الخاصة بين الزوجين نجد إن الإسلام قد صان هذا الجانب صيانة قوية وحذر من كشف هذا السر أو الاستهانة بالتحدث به ، كما هو شأن المجتمعات المعيدة عن روح الإسلام ، والتي يتناقلها فيها صعايف الدين والخلق والحمقى ..

عن أسماء بنت بريد أنها كانت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرجال والنساء قعود عنده فقال لعل رجلاً يقول ما فعل بأهلك ، ولعل امرأة تخبرني فعلت مع زوجها ، فأمر القوم (أى سكتوا وحلوا) ، فقلت : أى والله يا رسول الله إنهم ليعملون وإسهم يعملن ، قال : « فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فعشيها والناس يبطرون » . إن تلك العلاقة بين الزوجين أمانة ، فيحب على كل منهما أن يصونها ، فمن أخطأ ما يكون حياة تلك الأمانة وإمضاء هذا السر ، حين يُعْضَى إلى أمرائه وتفصي إليه ثم بشر سرها

دفعاً للشبهات .. وظن السوء

من التشريعات الإسلامية لصيانة البيت المسلم ، تحريم الخلوة بالأجنبية معاً لوساوس الشيطان ، وإبعاداً لهواجس النفس الأمارة بالسوء ، فقد جاء في الصحيحين « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » .

ومما حرص عليه الإسلام في هذا الصدد خلوة المرأة بآقارب زوجها كحلفتها بأخى زوجها أو بآس عمه أو بآس حاله لما في ذلك من التساهل الذى يمكن أن يحدث من أهل القرابة ومثل آقارب الروح أيضاً آقارب المرأة ممن ليسوا بمحارم لها كآس عمها وآس حالها وآس عمتها وآس حالتها فليس هم الخلوة بها ، يقول

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إياكم والدخول على النساء » ، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرايت اللحم؟ قال : « اللحم الموت » وهم أقارب المداة . وليس الأمر قاصراً على ما يخشى حدوثه من فتنة بل لأن في ذلك فتحة لتراؤد القبل والقال . وإثارة للشبه وألسنة سوء وما يترتب على ذلك أيضاً مما لا نحمد عقباه ، وما يترتب عليه تخريب البيوت

ولهذا صرّب لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربع الأمثلة على ذلك عن أس بن مالك رضي الله عنه قال . كلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه وقال يا فلان هذه زوجتي ، فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه غزى لم أكر أظن فيك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم »

وهذا يعطى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه درساً من أقوى ما يكون في دفع الشبهات وظن سوء حتى لا يتعلل أحد ما كائناً من كان بأنه فوق لشبهات .

كما كان لموقف موسى عليه السلام من انه شعيب أثره كذلك في البعد عن مواطن الشبهات . وذلك عندما وجهت إليه ذمّة أبيها ، فطلب منها أن تسير خلفه وأن تصف له الطريق ولم يكن هناك أدل شك بين الطرفين في نفسيهما ولكنه الدين في تعاليمه السامية . بعداً عن الشبهات ومعاً لإثارة الفتن والكلام ومُشراً للأدب العالي في البيوت المؤمنة لتلتزم بحادثة السير على المنهج الأمثل ومن شريعات المحافظة على البيت المسلم إلترم لمراء المسمه برها الإسلامى الذى يوافق شرع الله والذى يعطى جميع جسده ولا يكون رقيقاً ولا ضيق فقد جاء في الحديث « أن من أهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات » وقد دخلت نسوة من بنى نعيم على عائشة رضى الله عنها وعيهن ثياب رفاق فقالت عائشة « إن كنتن مؤمنات فليس هذا بثياب المؤمنات » والإسلام هذه التعاليم إنما يريد بناء بيت إسلامى يتسم بالعمق والطهارة والنقاء وبأى عن الرديلة والضلالة والمعاصى ما طهر منها وما بطن .

﴿ ذُرُوس .. من حياة أمهات المؤمنين ﴾

في حياة أمهات المؤمنين دروس غالية ونماذج مثالية للأمهات والزوجات يجب الوقوف عندها والإفادة منها في بناء الأسرة المسلمة .

ولنبداً بأولى أمهات المؤمنين :

هي السيدة خديجة بنت خويلد بن أمية بن عبدالمعري بن قصي القرشية الأسدية أم المؤمنين وزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي أول واحدة تزوجها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وأول من أسلم من النساء .
تزوجها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قبل الوحي وعمره حينئذ خمس وعشرون سنة وكان عمرها حينئذ أربعين سنة ، ومكثت معه أربعاً وعشرين سنة

وكان سبب زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - منها ما جاء عن ابن اسحاق قال . كانت خديجة امرأة تاحرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها تضاربهم إياه بشيء تجعل لهم منه . فلما بلغها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاحراً ، وتعطيه أفضل مما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له « ميسرة » ، فقبله منها وخرج في مالها ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام . فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا بي ، ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، فلما قدم على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو فربس ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وكانت خديجة امرأة حارمة لبيبة شريفة مع ما أود الله بها من كرامتها .

فلما أخبرها ميسرة بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له :
إن قد رعت فيك لقرائتك مني وشرفك في قومك وأمانتك عندهم وحسن

حلفك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا ، فلما قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم ما قالت ذكر ذلك لأعيانه فخرج معه حمزة بن عبدالمطلب فتكلم معها وقيل كلم أبها ولكن الصحيح أن أبها خويلد كان قد مات قبل ذلك

وحصر وجهاء قريش وأشرفهم ورؤسائهم بتقديمهم عمه أبو طالب فتكلم قائلا : الحمد لله الذي جعلنا من نرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ - أي أصل - معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكماء على لباس - ثم أن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يؤزن به رجل ، لا رجح به فإن كان في المال قل ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل . ومحمد من قد عرفتم قراته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد . وبذل لها من الصداق ما أحله وعاجله من مالى كذا ، وهو والله بعد هذا له نيا عظيم وخطب جليل

وكانت السيدة خديجة رضى الله تعالى عنها قد تزوجت قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برجلين هما أبو هالة بن زرارة من بني عدى وعتيق بن عائد . وكانت السيدة خديجة رضى الله عنها أول من آمنت من الرجال والنساء ، وصدقت بما جاء به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . وقد ررقه الله تعالى منها أولاده : القاسم وهو الذى كان يكنى به ، وعبدالله ويقال له : الطبيب والظاهر ، ورينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وأما ولده إبراهيم فإنه كان من مارية القبطية التى أهداها له المقوقس . وقد عاش بيات الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل الإسلام وهجرن معه إلى المدينة المنورة .

وكان للسيدة خديجة رضوان الله تعالى عليها دورها الكبير في حياة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لاسيما عندما جاءه الوحي ورجع من عار حراء يرجف فؤاده فدخل على خديجة رضى الله عنها فقال زملوني فزملوه . حتى ذهب عنه الروح . فقال خديجة وأحبرها الخبر لقد حبست على نفسي فقالت خديجة : كلا والله ما يخريك الله أبدا . إنك تتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الصيف وتعين على نوائب الحق

فاطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة ، وكان امرءا تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . الخ القصة .

فترى أنها استتجت بثاقب فكرها وحصافة عقلها ونقاء قلبها إن ما جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق ، وأن ربه سبحانه وتعالى لا يخزيه أبدا واستدلت على ذلك بأمور هي بحق جماع مكارم الأخلاق وأمهات الفضائل وصنائع المعروف - صلة الرحم - ومساعدة من لا يستطيع أن يستقل بامر نفسه وهو الكل وكسب المعصوم وإكرام الصنف والمعونة في النوائب . وهكذا نرى في تصرفه وحسن منطقتها واستتاجها أعظم القدوة لساء الإسلام اللاتي يضطلعن بمهمات الأسرة ويعاون الأزواج على رسالة الحق والخير .

كانت أول من آمن .. وصدق

لقد كان لأم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها دور هام في الدعوة وفي حياة رسول الله صوات الله وسلامه عليه ، تصديق له وتحفيزا عن نفسه وتثبيتا وأمانا واطمئنانا .

فكانت تمسح عن نفسه الكثير من المصوم التي كانت تواجهه وتهون عليه أمر الناس الذين كانوا يكذبونه ويردون عليه .

يقول ابن هشام : « وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء به فحصب الله بذلك عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد وتكذيب له فيحربه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تشته وتحمف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله » .

وفي هذا درس ينبغي للأسرة المسلمة وللروحة بصفة خاصة أن تقوم برسالتها المنزلية خير قيام وأن تؤدي لزوجها ما ينبغي أن تقوم به من تقوية معنوياته وإزاحة القلق النفسي وإهم من حياته حتى يستطيع القيام بدوره على أتم وجه . فلا تكون الزوجة مصدر قلق وإزعاج وخوف وتعيب لزوجها بل عليها أن تقوم برعاية أسرته وتوفير الراحة للأساء وللروح وللأسرة المسلمة خير أسوة بأمهات المؤمنين وبما كان لهن من دور عظيم .

ولقد كان للسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها مكانتها العالية ومنزلتها وحسبها فصلا وشرفا ومكانة ورفعة سامية في الدنيا والآخرة

ما جاء عن ابن زرعة قال سمعت أبا هريرة قال أتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله هذه حديجة قد أتتك معها إماء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل وبشرها بيت في الجنة من قصص لا يصح فيه ولا نصب .

والقصص هو اللؤلؤ المجوف - والنصب - الصورت المحتلط المرتفع والنصب : التعب

فهي هذا كله بشارة للسيدة حديجة رضي الله تعالى عنها بمكانة طيبة في الجنة ، وبيت كريم فيها ، جراء ما قدمت من إخلاص لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -

عن عائشة قالت ما عرت على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا عل حديجة وأنى لم أدركها ، قالت . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء حديجة قالت : فأعصيته يوماً فقلت : حديجة ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إنني قد رزقت حبها) وفي هذا الحديث إشارة إلى أن حبها فضيلة .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يكرم كل صديقة لحديجة وكان إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء حديجة وفي هذا أو غيره دليل لحسن العهد ، وحفظ الوعد ورعاية حرمة الصاحب والعشير ، في حياته وبعد مماته وإكرام أهل ذلك الصاحب أو الزوجة .

وفي هذا درس للأزواج أن يستوصوا بالنساء حياء ، وأن يحفظوا لزوجاتهم حقوقهن ، وحرمنهن وعهدهن .

وقد توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة ثلاث سنين وكانت وفاتها في رمضان وعندها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون في مكة المكرمة ، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - حفرتها ولم تكن شرعت صلاة الجارية ، فرحمها الله ورضي عنها وأرضاه .

القدوة المثل في العلم والعمل

ومن أمهات المؤمنين السيدة العاصمة الكريمة عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن

لؤي بن غالب ، وأما هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكلبية .
بنى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمرها تسع سنين وكانت مامية
الحشم ودخل بها في شهر شوال من السنة الأولى . ولم يتزوج رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - نكرا سواها .

وقد أراه الله تعالى إياها في المنام مرتين كما ثبت في السنة الصحيحة . قال
- صلى الله عليه وسلم - لعائشه أريتك في المنام مرتين يحملك الملك في سرقة
من حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يكن هذا من
عند الله يمضه . وعندما حطها السى - صلى الله عليه وسلم - من أبيها قال : إنما
أنا أخوك فقال لنبي - صلى الله عليه وسلم - أنت أخى في دين الله وكتابه وهى
لى حلال

وقد نشأت مد باكورة صباه ومحر حياتها ، نشأة طاهرة مباركة وكثرت
وترعرت في منزل الوحي فكان طبيعيا أن تجمع كل المحامد الفاضلة والمعاني
السلة ومكارم الأخلاق .

ولقد وهبها الله تعالى عقلا واعيا متفقا ، وذاكرة قوية حافظة ، فكانت عالمة
بأحكام الشريعة حافظة للأحاديث مستوعبة لأمور الدين وأصوله وفروعه
ولقد أخذ عنها الكثير من أحكام الشريعة ، ولاسيما ما كان رسول الله
صلوات الله وسلامه عليه يصعده في بيته ومع روحانه

يقول مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكبر يسألونها عن المرائض .
وقال أبو موسى الأشعري : ما أشكل علينا أصحاب محمد - صلى الله عليه
وسلم قط شيء ، فسألنا عنه عائشه إلا وجدنا عندها منه علما

وقد جمعت رضى الله تعالى عنها بين الفقه والعلم وحسن القول والعزم ،
يقول عطاء بن أبي رباح . كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس
رأيا في العامة .

بيد أن علومها كانت كثيرة وثقافتها العامة كانت شاملة فاستوعبت فقه
الأحكام ، والطب والشعر قال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم
بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة

وأسد الزبير بن نكار عن أبي الزبد قال : ما رأيت أحدا أدري بشعر من
عروة ، فقبل له ما أرواك قال ما روايتي في رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء
ولا أنشدت فيه شعرا .

وقد جمعت إلى جانب العلم العربي العمل الصالح ، وكانت كريمة سخية ، تبدل كل ما تملكه ، وتعطي عطاء بلا حدود حتى ولو كانت في حاجة ، إنها الأمثلة العالية في الإنفاق وفي العطاء ، أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها ، وهي يومئذ صائمة فقالت لها أما استطعت فيما أنعمت أن تشتري بذرهم لحما تطربين عليه فقالت : لو كانت ذكركني . وفيما رواه الإمام مسلم - في صحيحه - عن القاسم بن محمد بن عائشة قالت . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل قال . وكانت عائشة إذا عملت العمل لرمته .

ولقد كانت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عالمة متفهمة . ملحة بسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه واعية لأحاديثه النبوية الشريفة وهي من أكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - رواية للحديث النبوي الشريف روى لها عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ألفا حديث ومائتا حديث ، وعشرة أحاديث وانفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسعين حديثا وانفرد « البخاري » بأربعة وخمسين و« مسلم » بثانية وستين .

ولا غرابة في هذا العدد الحسم الذي روته من الأحاديث فقد عاشت في بيت النبوة وعاشت أندية لخطات الحياة في جوار الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومع ومضات الإشراق الروحي . وعد غدوات الوحي وروحاته . . كانت تعيش سعيدة بما ترى واعية لما تسمع . .

وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال . حدثني الصديقه بنت الصديق حبيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - امرأة من السهاء رضي الله عنها . هم فهي الصديقه وأبوها الصديق رضي الله عنه وكانت لها مكائنها من قول - صلى الله عليه وسلم - وبرلت براءتها من فوق سبع سماوات . تد روت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الكثير الطيب وروت أيضا عن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبي رقاص وأسيد بن حصير وجذامة بنت رهب وحمزة بنت عمرو ، وروى عنها عمر وابنه عبدالله وأبو هريرة وأبو موسى وزيد بن خالد وابن عباس وربيعه بن عمرو الجرشي والسائب بن يزيد وصفيه بنت شيبة وعبدالله بن عامر بن ربيعة وعبدالله بن الحارث بن نوفل وغيرهم من الصحابة .

ومن آل بيتها : اختها أم كلثوم وأخوها في الرضاعة عوف ابن الحارث وابن أخيها القاسم وعبدالله ابن محمد بن أبي بكر وبنات أخيها الآخر حفصة وأسما بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وحفيدة عبدالله بن أبي عتيق وابنا اختها عبدالله وعروة ابنا الزبير بن العوام وبنات اختها عائشة بنت طلحة .

ومن كبار التابعين : سعيد بن المسيب وعمر بن ميمون وعلقمة بن فليس ومسرور وعبدالله بن حكيم والأسود بن يزيد وأبوسلمة بن عبد الرحمن وأبودائل وآخرون كثيرون ولقد كان لها دور بالغ في تبليغ الأحكام الشرعية لاسيما النساء جاءت امرأة من الأنصار تسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف تتطهر من الحيض ؟ فقال : خذي فرصة من مسك فتبعي بها أثر الدم ، فلم تفهم فاستحي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذتها عائشة وعلمتها . وتلك مهمة لها أكبر الأثر في التبليغ والتعليم . إذ أن تعليم المرأة للمرأة وخاصة في مثل هذه الأمور يكون أكثر إيضاحا وأبعد عن الحرج .

ومما يدل على كثرة علمها ونقها ما قاله أبو موسى الأشعري :
ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما وتوفيت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرات نخلت من رمضان ، وقيل سنة سبع ودفنت في البقيع رضي الله تعالى عنها وأرضاها .



الفهرس

٥ في ضوء السيرة النبوية
٦ □ هكنا .. كان قدرها !!
١١ □ في الجاهليات .. القديمة !!
١٨ □ زوجات الرسول
٢٩ □ في العلم .. والأدب
٣٦ □ ماذا تفعل نساؤنا ؟
٤٣ في ضوء القرآن الكريم
٤٤ □ من نفس .. واحدة
٥٦ □ في المجتمع الاسلامي .. الأول
٦١ □ حرية قبل الزواج .. وبعده
٦٩ □ المسئولية .. على قدم المساواة !
٧٤ □ المساواة والفرقة .. للمصلحة !
٨٣ في ضوء السنة النبوية
٨٤ □ قبل الاسلام !!
٩١ □ الأسرة .. دعامة المجتمع
٩٩ □ الزواج بين التحليل .. والتحرير
١٠٩ □ البيت الزوجي .. له أسرار !!
١١٣ □ دروس .. من حياة أمهات المؤمنين

رقم الايداع : ٩١ / ٥٣٥٥

J.S.B.N

977 - 08 - 8137 - 0

هذا الكتاب ؟

إن علاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقة المرأة بالرجل تحكمها الآية القرآنية الكريمة : ﴿ من لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ . وعلاقة بهذا التمازج تكاد تجعل من الرجل والمرأة كيانا واحدا ، وشخصا واحدا ، الحقوق والواجبات متبادلة بينهما ، ليكون البيت شركة استثمارية ومؤسسة تربية .. ومن الخطأ القادح تصور أحد الجنسين متميزا عن الآخر أو غريبا عنه أو دونه مكانة ، حتى في مجال الحريات وفي مقدمتها الحرية الدينية ، فقد أباح الإسلام أن تبقى المرأة اليهودية والمسيحية على دينها وهي زوجة لرجل مسلم وأم لأولاده .

وحتى لا يشتت بعض الرجال فيحاولون هضم ما للمرأة من حقوق ، وحتى لا تختلط الأمور على بعض المترجلات من النساء فتتشابه الأمور عليهن ..

تقدم مؤسسة أخبار اليوم هذا الكتاب ، وهي ترجو أن يوفقها الله إلى الاسهام في نشر الثقافة الإسلامية الرقيقة بين الجماهير العريضة التي تتطلع إلى العلم والمعرفة والنور .